مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد - مجلة علمية محكمة- العدد العشرون (الجزء الثاني)

تطور التفكير اللغوي عند تمام حسان

د/ علاء دسوقي أحمد علي(*)

ملخص البحث باللغة العربية:

جاء هذا البحث بعنوان" تطور التفكير اللغوي عند تمام حسان" ليجلي نقاطا مهمة؛ حيث عرَّف –أولا– بتطور التفكير اللغوي، ثم عرَّج – ثانيا – على أهم مظاهر تطور التفكير اللغوي عند تمام حسان، وعرض – ثالثًا– لأسباب هذا التطور، وبيَّن – رابعا – ملاحظات عامة حول فكره اللغوي وأنماطه. ثم جاءت الخاتمة متضمنة نتائج البحث، وقد اتخذ هذا البحث من المنهج الوصفي التحليلي طريقا لاستكناه الآراء النحوية عند تمام حسان ومعرفة تطورها عنده، ومن أهم النتائج التي توصل إليها: أنَّ تطور التفكير اللغوي معناه: نموٌّ الفكر اللغوي للعالم الواقع في مجال النزعات والاتجاهات الكلية، وتطور آرائه الواقع في المسائل والمفردات، اعتمادا على الذكاء والفطنة، وإعمال الذهن، وحشد الأدلة. وقد وجد عنده نمطان منه، أولهما: التدرج اللغوي في المسألة الواحدة؛ حيث يبرز التعمق والتوسع والتفصيل، من غير أن يخالف رأيه الأول. وثانيهما: يُعْنَى بمخالفة رأيه السابق، والعدول عنه إلى رأي آخر، كما تبين –كذلك – أن تمام حسان كان على علاقة قوية بكل ما يستجد على ساحة البحث العلمي من تطور للمدارس اللغوية.

الكلمات المفتاحة: التفكير اللغوي، التطور، تمام حسان، أقسام الكلام، القرائن النحوية.

Abstract:

This research entitled "The Development of Linguistic Thinking in Tamam Hassan" aims to clarify important issues; it firstly defined the development of linguistic thinking, then - secondly - the most important aspects of the development of linguistic thinking in Tamam Hassan, and presented - thirdly - the reasons for this development, and - fourthly - explained general observations about Tamam Hassan's linguistic thought and its patterns. The conclusion includes the results of the research, and this research adopted the descriptive and analytical approach as a way to know the grammatical opinions of Tamam Hassan and to know their development, and among the most important results it reached: The meaning of development in linguistic thought means: the growth of the linguistic thought of the real world in the field of differences and general trends, and the development of his opinions in issues and vocabulary, depending on intelligence and acumen, the use of the mind, and the gathering of evidence. Two patterns were found in Tamam Hassan, the first: linguistic gradation in a single issue; where depth, expansion, and detail are highlighted, without contradicting his first opinion. The second: he is interested in contradicting his previous opinion, and changing it to another opinion. It also became clear that Tamam Hassan had a strong relationship with all that was new in the field of scientific research regarding the development of linguistic schools. Keywords: linguistic thinking, development, Tamam Hassan, parts of speech, grammatical evidence

KeyWords: Linguistic thinking, Linguistic development, Tammam Hassan, Sections of speech, Grammatical clues.

(*) أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك، قسم اللغة العربية،كلية الآداب والفنون، جامعة حائل.

مقدمة البحث:

ينبغي على الدارس الجاد والباحث المتعمق أن يعود إلى رأيه بين الفينة والأخرى، ليمحِّصه إلى وجه أكمل ويطوّره، كلما وجد سبيلًا إلى ذلك في كتاب أو بحث أو محاورة، فيُحصِي ما يكتب، ويُدرك أبعادَ ما يخُطُّ، محاولًا- قدر استطاعته- ألا يترك شيئا يخدم بحثه من شاردة أو وارادة إلا جمعها، أو من صغيرة أو كبيرة من الأفكار تساعد في بيان فكرته إلا أحصاها ووضَّحَها.

والرجوع إلى الرأي الحق، لتثبيته، أو دعمه، أو تطويره – خيرٌ من الركون إلى رأي جامد غير متطور، ولا يعيب الباحث الجاد أن ينقِّح من رأيه، أو يعدِّل من عبارته، أو يستدرك على ما قاله في بعض كتبه وأبحاثه، بل ذلك شأن العلماء الراسخين في العلم؛ فإن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل، كما قال عمر الفاروق –رضي الله عنه-.

ولا شكَّ في أنَّ تطوُّر آراء العالم ليدلُّ فيما يدلُّ على توقُّدِ ذهنه وعقله، وسعةِ معرفته وعلمه، وهو في هذا كله مُستوعِبٌ لما يكتب، ومحيط بما يخُطُّ، داعمًا رأيه، ومرسِّخًا له، أو باسطًا فكرته ومطوراً لها، أو عادلًا عنها، أو منقحاً لها، أو مضيفًا إليها.

ولا ريب في أنَّ عدم الإلمام بآراء العالم في مسألة من المسائل العلمية التي يعرض لها، خاصة إذا طوَّرها، وقضى جُلَّ عمره في تأكيدها والذود عنها- أقول- لا ريب- إنَّ هذا يقود من يتتبع آراءه أن يتهمه- بسبب عدم الاطلاع الكافي على ما خطَّ في كتبه أو أبحاثه- بأن هذه الآراء غير مكتملة، وقد ينسب الخطأ إليه في بعضها، أو يبني فكرة ناقصة عما قاله؛ ومن ثم يتهمه- باطلا- بأن رأيه اللغوي ناقص أو غير مقبول.

وليس هذا خاصا بآراء عالم معين، خاصة إذا كان في قيمة أستاذنا الدكتور تمام حسان وقامته، بل هو رأي علمي يجب علينا أن نوجِّهَه إلى كلِّ صاحب فكرٍ جاد؛ إذ لا بُدَّ من تتبع آرائه في كل كتبه وأبحاثه؛ حتى لا نحكم بالخطأ على ما قال، أو نصدر أحكاما خاطئة أو ناقصة استناداً إلى بعض ما خطَّ، دون اطلاعٍ كافٍ على كلِّ ما كتب.

الدراسات السابقة:

كثير من الدراسات المتخصصة تعرضت لجهد الدكتور تمام حسان المبذول في تجديد الفكر اللغوي والنحوي، ولكن قليل منها من عرض لتطور رأيه وفكره عبر السنين التي عاشها، ومن هذا القليل دراسة بعنوان"الفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية([1])؛ حيث عرض الباحث للعامل النحوي وإغناء القرائن عنه، والزمن النحوي، وأصول النحو، وبعض موافقات تمام حسان ومخالفاته للنحاة، كأصل الكلمة، وأقسام الكلام... ولكنه لم يعرض لتطور التفكير

[1] الفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية، للباحث: محمد عبد الله الدبيس، ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

اللغوي كما عرضنا له في بحثنا الذي بين أيدينا، فهناك اختلاف بيِّن وواضح بين منهجية البحث والرسالة، وطريقة المعالجة، ونقاط الدراسة في كل منهما.

وهناك دراسة بعنوان" الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية: معناها ومبناها، دراسة وصفية تحليلية" (٢)عرض الباحث فيها للاتجاه البنوي في اللسانيات العربية الحديثة، كما عرض لنقد النحو عند تمام حسان من خلال آرائه النحوية في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"، مركزا على نظرية القرائن، والزمن النحوي، كما تناول موقع آرائه في الدرس اللغوي المعاصر، والمتأمل في هذه الدراسة يجد اختلافا بينا بين موضوعها وموضوع بحثنا ونقاطه وطرق معالجته؛ فموضوع البحث عندي ليس مقتصرا على كتاب واحد، كما لم يعن بقضية واحدة، وإنما تناول جل كتبه، عارضا لتطور التفكير اللغوي فيها.

هذا، ويتخذ هذا البحث الذي بين أيدينا من المنهج الوصفي التحليلي طريقا لاستكناه الآراء النحوية عند تمام حسان ومعرفة تطورها، وهذا المنهج يتخذ العديد من الطرق من أبرزها وأهمها: طريقة المسح، ودراسة الحالة، والمنهج التاريخي، والمنهج المتكامل في البحوث. وهذا المنهج صالح لبحثنا الذي بين أيدينا.

وقد لفت أستاذنا الدكتور تمام حسان- رحمه الله- أنظارنا إلى مثل هذا التطور الذي حدث في بعض كتبه وأبحاثه، وذلك من خلال كتابه" مقالات في اللغة والأدب" في الجزء الأول منه؛ حيث أشار إلى أن أبحاثه في هذا الكتاب ممتدة، وأزمنة إنتاجها متباينة، وأنه من خلال هذه الأعمال- كما يقول هو عن نفسه-:" قد ترضى عن بعضها، وتحمد الله أن هيأ لك القدرة على الوصول إلى الصواب، أو ما تزال ترى أنه الصواب، وقد تنكر بعضاً آخر من ملامحه، فتقول: إنه كان أولى بهذه الفكرة أن تكون كذا، أو كان أولى بهذه العبارة أن تكون على نحوٍ آخر"(٣).

وأشار- كذلك- إلى هذا التطور الذي حدث في بعض آرائه اللغوية، وذلك عندما عزم على جمع مقالاته بين دفتي كتاب؛ حيث رأى أن بعض هذه المقالات قد مضى عليه وقتٌ طويل، وأنَّ بعض أفكاره لا يرضى عنها، وكان أمام خيارين:

أحدهما: أن يُعَدِّل بعض هذه الأفكار، ولكن رأى أن هذا نوعٌ من التزوير، لا يليق بالأمانة العلمية، كما أنه لا يليق بشخصيته التي ربما تبدو للقارئ أنه يحمل رأيين متعارضين.

والثاني: أن يترك مقالاته القديمة كما هي- وهذا ما فعله في هذا الكتاب المشار إليه سابقا - ويترك الحكم لقارئ هذه المقالات(٤).

---

٢ الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية: معناها ومبناها، دراسة وصفية تحليلية، للباحث: بلقاسم منصوري، الجزائر، جامعة مولوي معمر، ٢٠١٣م.

٣ ــ مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، ج١/٥، عالم الكتب، ط٢، ٢٠١٥م.

٤ ــ مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، ج١/٨.

وقد وضَّح أستاذنا- رحمه الله- بعضاً من هذا التطور الذي أودعه كتابه "اللغة العربية: معناها ومبناها"، وكان مما رآه فيه كفاية المعنى الوظيفي للإعراب، دون حاجةٍ إلى غيره من أنواع المعاني الأخرى؛ ومن ثم رأى أن عبارة النحاة: الإعراب فرع المعنى يجب أن تكون" الإعراب فرع المعنى الوظيفي"(٥). ولكن عاد ليضع بحثا بعنوان" ضوابط التوارد"(٦)؛ ليدافع فيه عن فكرة: الإعراب فرع المعنى المعجمي، وجاء بحثه هذا معدِّلا لعبارة كتابه "اللغة العربية: معناها ومبناها"، ورأى – من خلال هذا البحث – أنه من الضروري الاعتماد على المعنى المعجمي في كثير من صور الإعراب، بل "إن المعنى السياقي- أيضا – يصبح في بعض الأحوال فيصلا في معرفة الباب النحوي الذي تعبر عنه إحدى الكلمات في السياق"(٧). كان هذا الكلام منه – رحمه الله- بدايةً للانطلاق في كتابة هذا البحث، طلباً لمعرفة تفكيره اللغوي، ومعرفة آرائه اللغوية التي طوَّرها، أو أضاف إليها، أو عدَّلها، أو عَدَل عنها، وكان ذلك من خلال كتبه وأبحاثه التي سطَّرها على امتداد عمره الطويل- رحمه الله، وجعل الفردوس مثواه- ومن هنا كانت فكرة البحث الذي أمامك، وكان هذا البحث الماثل بين يديك.

ولا بُدَّ لهذه السطور أن تُخَطَّ قبل الدخول إلى تطور التفكير اللغوي لأستاذنا الدكتور تمام حسان.

وسيأتي هذا البحث من خلال النقاط الآتية:

أولا: تطور التفكير اللغوي.

ثانيًا: أهم مظاهر تطور التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان.

ثالثًا: أسباب تطور التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان.

رابعا: ملاحظات عامة حول التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان وأنماطه.

النتائج المرجوة من هذا البحث.

هذا، والبحث الذي بين يديك – أيها القارئ – سطورٌ قليلة في بيان تطور التفكير اللغوي عند أستاذنا الدكتور تمام حسان في كتبه وأبحاثه، وإيضاح لبعض ما خطَّه، لا أدَّعي فيه السبق، كما لا أُتَّهم فيه بالسلب، غير مدِّعٍ فيه الإحاطة بفكره كله، فليس من اليسير أن يحيط بحثٌ واحد بهذا، وإن كنت لا أعدم الإصابة فيما خططت، فهذا مراد كل باحث، وأسأل الله أن يبارك في العمر، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول، والرضا والحبور، وأن يجعل ما نكتبه في ميزان الحسنات، ورافعا للدرجات، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

٥ ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان:١٨٤، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

٦ ــ انظر: هذا البحث " ضوابط التوارد" وقد نشر بتاريخ: ١٩٨٥م، وقد ضمنه كتابه " مقالات في اللغة والأدب" ج١/١٣٥ ــ١٦٥.

٧ ــ مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، ج١/٨.

أولا: تطور التفكير اللغوي.

تدور مادة "طور" حول التغيير من وجه إلى آخر، فالفعل: تطوَّرَ الذي مصدره: تطوُّر، ومثله في ذلك الفعل طوَّرَ، الذي مصدر تطوير، يدلَّان على التغير من وجهٍ إلى آخر([٨])؛ ومن ثم فإن التطوُّر- اصطلاحًا- هو: التغير التدريجي وفق المراحل المختلفة([٩]).

وأعني بتطور التفكير اللغوي: نموُّ الفكر اللغوي للعالم الواقع في مجال النزعات والاتجاهات الكلية، وتطور آرائه اللغوية الواقع في المسائل والمفردات، اعتمادا على الذكاء والفطنة، وإعمال الذهن، وحشد الأدلة. وقد جاء الوصف هنا باللغوي دون النحوي، وذلك ليشمل كلَّ تطور في فكر صاحبه سواء أكان نحوا أم صرفا أم دلالة أم معجما، وهذا الوصف – وهذا هو المراد- في بحثنا- أوسع وأشمل، وأعم وأكمل.

ولا شك أن التطور واقع في الآراء، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية؛ إذ لا نعدم أن نجد تعدد رأي العالم في المسألة الواحدة عند علماء الفقه، ومن أبرزهم الإمام الشافعي- رحمه الله – الذي أعاد النظر في آرائه السابقة، ورجع عن كثير منها، فكان له قولان: أحدهما قديم، وهو الذي صنفه ببغداد، والآخر جديد، وهو الذي صنفه بمصر.

وقد برزت هذه الظاهرة – أعني تطور الآراء اللغوية-كذلك – عند كثير من النحاة، كيونس بن حبيب، والخليل، وسيبويه، والأخفش، وظهرت- أيضا- عند المتأخرين من النحاة،

هذا، وقد ورد عن ابن جنيّ نصٌّ مهمٌّ في باب" في اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العالم متضادين" للتأكيد على وجود تعدد الآراء عند بعض العلماء، مع الأوجه الممكنة لمثل هذا التعدد، الذي قد يبدو في بعضها متناقضا، أو رأيه ناقصا. يقول في ذلك: "ومن ذلك أن يرد اللفظان عن العالم متضادين على غير هذا الوجه. وهو أن يحكم في شيء بحكم ما، ثم يحكم فيه نفسه بضده، غير أنه لم يعلل أحد القولين، فينبغي حينئذ أن يُنظرَ إلى الأليق بالمذهب، والأجْرَى على قوانينه، فيُجْعَل هو المراد المعتزَم منهما، ويُتأوَّل الآخرُ إن أمكن...ومن ذلك أن يرِد اللفظان عن العالمِ متضادّين، غير أنه قد نَصَّ في أحدهما على الرجوع عن القول الآخَر، فيُعلم بذلك أن رأيه مستقِرّ على ما أثبته ولم ينفه، وأنَّ القولَ الآخَرَ مُطَّرَحٌ من رأيه. فإن تعارض القولان مرسَلين غير مُبانٍ أحدُهما من صاحبه بقاطع يُحْكَمُ عليه به بُحِثَ عن تاريخهما، فعُلِمَ أنَّ الثاني هو ما اعتزمه، وأنَّ قولَه به انصرافٌ منه عن القول الأوّل؛ إذ لم يوجد في أحدهما ما يُمَازُ به عن صاحبه. فإن استبَهم الأمرُ فلم يُعْرَف التاريخ وجبَ سَبْرُ المذهبين، وإنعامُ الفَحص عن حال القولين، فإن كان أحدهما أقوى من صاحبه وجب إحسانُ الظنّ بذلك العالمِ، وأن يُنسب

---

[٨] ــ انظر: مادة "طور" في لسان العرب: ج٤/٥٠٧، ط١، دار صادر، بيروت. وانظر: المعجم الوسيط:٢/٥٧٠، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، دون تاريخ.

[٩] ــ تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري: ٦، د. حسن موسى الشاعر، دار البشير، ط الأولى، ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٤م.

إليه أن الأقوى منهما هو قوله الثاني الذي به يقول وله يعتقد، وأنَّ الأضعف منهما هو الأوّلُ منهما الذي تركه إلى الثاني، فإن تساوى القولان في القوة وجب أن يُعتقد فيهما أنهما رأيان له، فإنّ الدواعي إلى تساويهما فيهما عند الباحث عنهما هي الدواعي التي دعت القائل بهما إلى أن اعتقد كلاّ منهما، هذا بمقتضى العُرْف وعلى إحسان الظن، فأمّا القطع البات فعند الله عِلْمُه"([١٠]).

ولنا ملاحظات على قول ابن جني السابق؛ لارتباطه بموضوع بحثنا، نوجزها فيما يأتي:

١ – تطوُّر رأي العالم في المسألة الواحدة أمرٌ واردٌ ومقبولٌ ومُعْتَبَرٌ.

٢– يفهم من عبارة ابن جني السابقة أن هناك نوعين من نظر العالم في مسائل العلم، إذا ورد له رأيان في المسألة، أولهما: تطور يكمل الفكرة السابقة، والثاني: تطور يضادُّ الفكرة السابقة. وقد تكلم عن ثانيهما بتوسع.

٣ –إذا كان للعالم رأيان في المسألة، ونصَّ على الرجوع عن القول الأول من رأييه، عُلِمَ بذلك أن رأيه الأول مُطَّرَحٌ وغير مأخوذ به.

٤– عند التعارض مع عدم معرفة الرأي الراجح في المسألة، عندئذ يُبْحَثُ عن تاريخ هذين القولين، فالمتأخِّر منهما هو ما اعتزمه العالم، ويُعَدُّ هذا منه رجوعاً عن قوله الأول، وبهذا يعلم أنَّ معرفة التدرج التاريخي في تطور الرأي له دور في الترجيح في نسبة الرأي الأخير للعالم.

٥– عند عدم معرفتنا بالتاريخ، يجب أن نمعن النظر في القولين، مع وجوب إحسان الظن حينئذٍ بالعالم، مع ترجيح الأقوى من قوليه، ويُعَدُّ هذا هو الرأي الثاني الذي انتهى إليه، وأنَّ الأضعف من قوليه هو الأوَّل منهما، وبناء عليه؛ فإن الحكم بشيء، ثم الحكم بخلاف هذا الشيء، لا بدَّ فيه من النظر بالأليق بالمذهب النحوي للعالم، والأقوى في الرأي والحجة، والأخذ بالمتأخِّر منهما.

٦– عند تساوى الرأيين في القوة، يجب أن يعتقد أنَّ للعالم رأيين في المسألة؛ لأنّ عدم وجود مرجِّحٍ دليلٌ على أنَّ العالم اعتقد قوة الرأيين في المسألة، ولو أراد أن ينصَّ على أيهما لنصَّ.

وعلى هذا؛ فقد:" يكون للعالم المجتهد نظرٌ في وقت لا يرتضيه في وقت آخر، وبهذا يكون له في المسألة الواحدة قولان"([١١]).

ثانيا: أهم مظاهر تطور التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان.

يُفهم من قول ابن جني السابق أن مظاهر التطور اللغوي عند العالم قد تتجلى في مظهرين: أولهما: التدرج اللغوي في المسألة الواحدة، مع التعمق والتوسع والتفصيل، من غير مخالفة رأيه السابق. الثاني: مخالفة الرأي السابق والعدول عنه إلى رأي آخر([١٢]).

---

[١٠] ــ الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، ج١/ ٢٠٣، ٢٠٥، تحقيق محمد علي النجار، ط١ــ، المكتبة العلمية، القاهرة.

[١١] ــ التصريح بمضمون التوضيح: ج٢١/١، للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر، دون تاريخ.

[١٢] ــ انظر: تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري: ١١.

وقد وُجِدَ عند الدكتور تمام حسان- رحمه الله – هذان النمطان، ومما يندرج تحت المظهر الأول: دراسته للقرائن النحوية، ومحاولة ترتيبها، وإعادة تصنيفها وفق أنظمة اللغة، وكذلك رأيه في العامل النحوي، ورأيه في الأداة، وما يندرج تحتها، وأقسام الكلام، وجعلها سبعة بدلا من أربعة، مع محاولة التعمق في الأقسام، مع التفصيل والتوسع، وتأثر النحو بالمنطق الأرسطي، وبعض مظاهر المصطلح عنده. ومما يندرج تحت ثانيهما: العدول عن الكتابة باللغة اللاتينية، وتطور رأيه في النقل، ودخول التوارد في المعنى المعجمي، وإمكانية تطبيق المنهج التوليدي على النحو العربي.

وسنفصل القول في هذين النمطين، أما النمط الأول، وهو التدرج اللغوي في المسألة الواحدة، مع بروز التعمق والتوسع والتفصيل، من غير مخالفة رأيه؛ فيظهر في الآتي:

أولا -نظرية القرائن: عددها، وأنواعها، وما يندرج تحت هذه الأنواع.

استطاع الدكتور تمام حسان -رحمه الله- أن يقيم نظرية" القرائن النحوية" وأن يؤسِّس لها، ويدافع عنها تنظيراً وتطبيقًا وتلخيصاً؛ فقد أسسها في" اللغة العربية: معناها ومبناها"، وكذلك في بحث" القرائن النحوية واطِّراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي"([١٣])، وطبَّقها عمليًّا على أسلوب القرآن الكريم في كتابه" البيان في روائع القرآن"، ولخَّصها نظريًّا في كتاب" الخلاصة النحوية"، والملاحظ أنه لم يخرج عن الإطار العام الذي وضعه لها في" اللغة العربية: معناها ومبناها" إلا خروجا يسيرا لا يمَسُّ الأسس التي بُنيت عليها أوَّلًا.

وقد أخذ مصطلح "القرينة" من أصول الفقه والبلاغة والنحو، وطوَّره وأقام عليه نظرية متكاملة، ينضوي تحتها القرينة اللفظية والمعنوية وسياق النص والحال، وقد استقى مادتها وأقام بنيانها وأصولها العامة من نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني، والتراث النحوي والبلاغي والأصولي، بالإضافة إلى إفادته (نوع إفادة) من علم اللغة الحديث في الغرب، بدءا من أفكار دوسوسير ومحاضراته في اللغة، وانتهاء بنحو النص([١٤])، وأضاف إليها من فكره ما أضاف!!

هذا، وفي كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"([١٥])قسَّم أستاذنا – رحمه الله – قرائن التعليق المقالية إلى نوعين: معنوية، وجعل تحتها خمس قرائن، وهي: الإسناد، والتخصيص، والتبعية، والنسبة، والمخالفة، ولفظية، وجعل تحتها ثماني قرائن وهي: الإعراب، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والأداة، والتنغيم. إلا أنه في "الخلاصة النحوية"([١٦]) أعاد ترتيب

---

[١٣] ــ انظر: هذا البحث في: اللسان العربي، مج١١، ج١، ١٩٧٤ م.

[١٤] ــ انظر: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، دراسة وصفية تحليلية، لبلقاسم منصوري:٦٨، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م.

[١٥] ــ انظر: اللغة العربية: معناها ومبناها، د. تمام حسان:١٩٠، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

[١٦] ــ انظر: الخلاصة النحوية، د. تمام حسان:٢٣، ٢٤، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ــ٢٠٠٠م

القرائن، ووزَّعها وفق الأنظمة اللغوية، فجعل "العلامة الإعرابية" وهي قرينة لفظية، جعلها هنا قرينة صوتية؛ لأن الصوت يُستخدم فيها عادة. كما جعل قرينة الصيغة والأداة- وأضاف إليها مصطلح حروف المعاني – مما يندرج تحت القرينة الصرفية. كما جعل التضام والربط والرتبة مما يندرج تحت القرينة النحوية([١٧])، كما أنه عَدَّ قرينة المطابقة قرينة لفظية مستقلة في "اللغة العربية: معناها ومبناها"، وجعلها في" الخلاصة النحوية" مما تندرج تحت قرينة الربط.

كما أنه ذكر التنغيم مما يندرج تحت القرينة اللفظية في "اللغة العربية: معناها ومبناها"([١٨])، وجعله قرينة مستقلة، أطلق عليها نغمة الكلام، ويندرج تحت القرينة الحالية" دلالة الموقف"، وذلك في كتابه" الخلاصة النحوية"([١٩]).

كما أنه قد تناول المعنى الدلالي في كلام مستقل في كتابه "اللغة العربية: معناها ومبناها"، وقسَّمه إلى: المعنى المقالي، وهو مكون من المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي، وهو يشمل القرائن المقالية، والمعنى المقامي: وهو مكون من ظروف أداء المقال، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية، وكل ذلك يُسَمَّى المقام([٢٠]).

إلا أنه ذكر القرينة السياقية كقسم خامس مما يندرج تحت مصطلح القرينة في كتابه" الخلاصة"، ووزَّعها بين سياقية، وهي دلالة سياق اللفظ، وهي قريبة من المعنى المقالي، والقرينة الحالية أو دلالة الموقف، وهي قريبة من المعنى المقامي الذي ذكره في "اللغة العربية: معناها ومبناها"([٢١]).

هذا، وقد تنوَّع المعنى اللغوي عند الدكتور تمام حسان – رحمه الله – فقد قسَّم المعنى الدلالي إلى([٢٢]):

١- المعنى المقالي: ويضم نوعين:

أ – المعنى الوظيفي: وهو معنى المباني التحليلية، أي وظيفة المبنى على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، فهو حصيلة هذه الأنظمة الثلاثة.

ب – المعنى المعجمي: وهو معنى الكلمة المفردة، كما هو في المعجم.

٢- المعنى المقامي: وهو معنى المقال منظورا إليه في المقام، وهو مكوَّن من ظروف أداء المقال طبيعية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك، والتي تشتمل على القرائن الحالية.

---

[١٧] ــ انظر: اللغة العربية: معناها ومبناها:١٩٠.

[١٨] ــ انظر: السابق:٢٢٦.

[١٩] ــ انظر: الخلاصة النحوية:٢٤.

[٢٠] ــ انظر: اللغة العربية: معناها ومبناها: ٣٣٩

[٢١] ــ انظر: اللغة العربية:٣٣٩، والخلاصة النحوية:٢٤.

[٢٢] ــ انظر: الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان:٢٩٠، عالم الكتب، ٢٠٠٩م، واللغة العربية :٣٩، ٤١، ١٨٢، ٣٣٩، ٣٤١ ــ ٣٤٢.

وهذا المعنى الدلالي عنده يمثل شعبة واحدة هي المعنى اللغوي (العرفي) من ثلاث شعب ذكرها للمعنى، أما الشعبة الثانية، فهي(المعنى الذهني) الذي يتفرع إلى المعنى المنطقي والمعنى الاستدعائي، والثالثة هي (المعنى الانطباعي)، الذي يتفرع منه المعنى الانفعالي والمعنى الحسي([٢٣]).

وكان قد نشر الدكتور تمام حسان بحثا سابقا بعنوان" تشقيق المعنى" سنة ١٩٥٩م، ولكن استخدم فيه مصطلحات أخرى، سمَّى فيه المعنى الوظيفي(الوظيفة)، وسمَّى المعنى المعجمي(الإطلاق)، وسمَّى المعنى المقامي (المقصود)([٢٤]).

ثالثا- أقسام الكلم: عددها وأسس التقسيم.

انتقد الدكتور تمام حسان -رحمه الله- القسمة الثلاثة التي رآها جمهور النحاة لأقسام الكلم، وهي: الاسم والفعل والحرف، وارتضى بدلًا منها **تقسيمين أحدهما: رباعي ذكره** في كتابه" مناهج البحث في اللغة"، **والآخر سباعي** نصَّ عليه في كتابه" اللغة العربية معناها ومبناها"، ففي التقسيم الأول جعل أقسام الكلم أربعة، وهي: الاسم والفعل والضمير والأداة، متخذًا من أسس خمسة دليلًا على ما ذهب إليه، وهي، الشكل الإملائي، والتوزيع الصرفي، والأسس السياقية، والمعنى الأعم أو معنى الوظيفة، والوظيفة الاجتماعية ([٢٥]).

أما التقسيم السباعي الذي أورده في كتابه" اللغة العربية معناها ومبناها"، فهو: الاسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخالفة، والظرف، والأداة، حيث رأى فيه أن التمييز بين أقسام الكلم في أمثل طرقه ينبغي أن يتم على أساس من المباني والمعاني معا، أما المباني فتشتمل عنده على الأسس الآتية:

١ ــ الصورة الإعرابية. ٢ ــ الرتبة. ٣ ــ الصيغة. ٤ ــ الجدول.

٥ ــ الإلصاق. ٦ ــ التضام. ٧ ــ الرسم الإملائي.

وأما المعاني، فإنها تقوم على الأسس الآتية:

١ ــ التسمية. ٢ ــ الحدث. ٣ ــ الزمن ٤ ــ التعليق ٥ ــ المعنى الجملي([٢٦]).

---

[٢٣] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان: ج٢/ ٢٩٧، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٧م، ٢٠٠٦م.

[٢٤] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان: ج٣٣١/١، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، وانظر: أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، أحمد خضير عباس علي:٢٢، دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٤٣١ هـــ ـــ٢٠١٠م.

[٢٥] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان:١٩٦ ــ٢٠٣، طبعة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م

[٢٦] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٨٨،٨٧.

وهنا نلحظ أنه قد طوَّر الأسس التي ذكرها في التقسيم الرباعي، وزاد عليها أسسا أخرى، كما أن بعض ما يندرج تحت بعض الأقسام في التقسيم الرباعي، قد جعله قسما مستقلا في السباعي؛ ومن ثم زاد العدد عنده، وتوسَّع التناول لديه([٢٧]).

ولم يخرج أستاذنا – رحمه الله- عن هذا التقسيم السباعي في كتابه "الخلاصة النحوية"([٢٨])، ولكن أخرج بعضا مما يندرج تحت قسم منها، وهو" الأداة"، وأعطاه مصطلحا آخر، وهو" حروف المعاني"، مع المحافظة -أيضا- على مصطلح" الأداة".

وقد اندرج عنده تحت مصطلح الأداة الآتي:

١- التوكيد (إنَّ، أنَّ، وإن، وأنْ، ولام الابتداء).
٢- الإيجاب (نعم، إي، بلى).
٣- النفي (ما، لم، لما، لا، لن، ليس، لات، كلا).
٤- الاستفهام (الهمزة، هل، كيف، ما، مِن، أي، أنَّى، أين، أيان).
٥ – الشرط (إنْ، إذ، إذا، إذما، ما، مَن، أي، أيما، أينما، حيثما، لو، لولا).
٦- التحضيض (هل، هلا، ألا، لولا، لوما).
٧- العرض (ألا، أما).
٨- التمني (ليت، لو).
٩ – الأمر (اللام مع المضارع).
١٠- النهي (لا).
١١ – النداء (الهمزة، يا، أيا، هيا، أي).
١٢-القسم (الباء، التاء، اللام، الواو، الميم، مُن، ايمن).
١٣- التعجب (ما، وا، وي، ويك، ويكأنّ).
١٤- الترجي(لعل).
١٥- الاستغاثة(اللام)([٢٩]).

وأخرج جزءا آخر مما يندرج تحت هذه الأدوات، وأطلق عليه حروفَ المعاني، ووضعه تحت هذا العنوان "حروف المعاني"، ووضع تحته ثماني عشرة نوعا من هذه الحروف، وهي: الحروف المصدرية، والعطف، والاستثناء، والاستفتاح، وإن وأخواتها، وحروف ينصب المضارع في حيزها، وحروف يجزم المضارع في حيزها، والاستدراك، والإضراب، والمعية، والملابسة، وحروف يجر الاسم في حيزها، وحروف تزاد في الكلام للتأكيد، والتشبيه، والتعليل، والظرفية، والتعدية، والتفسير([٣٠]). يقول الدكتور تمام حسان – رحمه الله- بعد أن أورد هذه

[٢٧] ــ انظر: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية:٣٩ ــ٥٨.
[٢٨] ــ انظر: الخلاصة النحوية: ٣٩ ــ٤١.
[٢٩] ــ انظر: الخلاصة النحوية:٧٠ ــ ٧٤.
[٣٠] ــ انظر: السابق:٧٥ ــ٧٩. وانظر: الأمثلة والشواهد التي استشهد بها على هذه الأدوات.

الحروف الثمانية عشر كلها:" هذه هي المعاني النحوية، أما ما عداها من معاني هذه الحروف نفسها، فهي معان يمكن الكشف عنها من تأمُّل السياق"([٣١]).

كما أنه جمع بين مصطلحي الأداة وحروف المعاني عند حديثه عن قرينة الرتبة([٣٢])، وعند حديثه عن رتبة الحروف والأدوات([٣٣])، وعند حديثه عن الربط جعل الحرف يندرج تحته" الأدوات وحروف المعاني"، يقول:" وأما الحرف والمقصود هنا (الأدوات وحروف المعاني) فمدلوله هو العلاقة بين عنصرين أو أكثر من عناصر السياق، فالأدوات التي تدخل على الجمل تربط كل ما يقع في حيزها من عناصر الجملة...وأما الحروف الداخلة على المفردات(الأسماء والأفعال والأوصاف والضمائر)، فإنَّ حرف العطف يربط بين متعاطفين..."([٣٤]).

ولنا ملاحظات على ما سبق، نسجلها في الآتي:

١ – نلحظ أن الدكتور تمام حسان –رحمه الله– جعل الصفة، والخالفة، والظرف أقساما مستقلة في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"، وهي زائدة عن الأربعة التي تناولها من قبل في "مناهج البحث في اللغة"، وهي: الاسم، والفعل، والضمير، والأداة، وارتضى هذه القسمة السباعية أيضا في" الخلاصة النحوية".

٢ – جعل – رحمه الله –كان وأخواتها" و"كاد وأخواتها" من الأدوات في "اللغة العربية: معناها ومبناها"([٣٥])، في حين أنه جعلها داخلة تحت الفعل، حين ذكرها تحت جمود الفعل وتصرفه في" الخلاصة النحوية"([٣٦]).

٣– كما أخذ– رحمه الله– مصطلح " الأداة –وهو مصطلح كوفي، وإن لم يجعله الكوفيون قسما خالصا من أقسام الكلم العربية – ووظَّفه من ناحية فهمه له، وعدَّه قسماً سابعاً من أقسام الكلم في العربية، وقرينة مهمة من القرائن اللفظية. والأداة عنده مبنى تقسيمي تؤدي معنى التعليق بين الأجزاء المختلفة، وقد أطلق مصطلح الأداة، وتمسَّك به في كتابه" مناهج البحث في اللغة"([٣٧])، وكتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"([٣٨])، وهي عنده قسمان: الأدوات الأصلية، وهي الحروف ذات المعاني، كحروف النسخ والجر والعطف... والأدوات المحولة: وهي اسمية

---

[٣١] ــ انظر: السابق:٧٩.

[٣٢] ــ انظر: السابق:٨٣، ٨٤.

[٣٣] ــ انظر: الخلاصة النحوية:٨٤.

[٣٤] ــ انظر: السابق:٨٩.

[٣٥] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:١٢٩.

[٣٦] ــ انظر: الخلاصة النحوية:٦٧، وانظر حديثه عن:كان وأخواتها في ١١٢، ١١٣، وأفعال المقاربة" كاد وأخواتها" ١١٧. وهذه الجزئية تندرج تحت النمط الثاني، وهو مخالفة رأيه السابق والعدول عنه، وقد أدخلناها هنا لارتباطها نوع ارتباط بما نحن فيه.

[٣٧] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة العربية:٢٠٣.

[٣٨] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:١٢٣.

أو فعلية أو ظرفية أو ضميرية([٣٩])، في حين أنه تخلَّى عن بعض ما يندرج تحته في كتابه "الخلاصة النحوية"، وأطلق عليه "حروف المعاني"، ومنها – كما نقلنا – الحروف المصدرية، وحروف العطف، وحروف الاستثناء...كما أنه جعل الحرف يندرج تحته الأدوات وحروف المعاني. أي يلاحظ على مصطلح الأداة أنه حدث له تطور عنده مرة بالجمع تحت ما يندرج تحت هذه القرينة، ومرة بإقصاء بعض منها، ثم الرجوع عن ذلك مع وضع مصطلح خاص بها، وهو "حروف المعاني".

إن هذه المحاولة التجديدية–كما ترى بعض الدراسات –" في فرض مصطلح نحوي كوفي، تحتاج إلى تمحيص وإعادة نظر، نظرا للخلط المنهجي الحاصل بين التنظير والتطبيق؛ ذلك أن من شروط المصطلح أن يكون جامعا مانعا، فكيف يجمع الأستاذ حروف المعاني كلها تحت لواء" الأداة"، ثم يبدأ في وضع الشروط التي تقصي بعضا منها، ويعود ليضع تلك المقصاة تحت مصطلح" حروف المعاني"، فكيف يستقيم هذا، وما موقع تلك الحروف المقصاة في التقسيم السباعي الذي ارتضاه بديلا عن التقسيم الثلاثي الذي يراه ضعيفا؟!"([٤٠]).

ثالثا: تطور موقف الدكتور تمام حسان من العامل النحوي.

أقام الدكتور تمام حسان –رحمه الله– نظرية القرائن النحوية، فرارا من العامل النحوي، وقضاء عليه؛ ومن ثم فإنه صبَّ جامَ غضبه على العامل النحوي، واختلفت عنده عبارات القدح فيه من مرحلة لأخرى، ومن كتاب لآخر.

يقول – رحمه الله – :" وفي رأيي– كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال – أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجهه كافٍ للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية"([٤١]). فهنا نجد أنه قد وصف العامل النحوي بالخرافة، ولكن خفف هذه الحدة عندما عرض لقواعد الإعمال عند النحاة في كتابه" الأصول"([٤٢]).

ويقول عند حديثه عن قرينة التضام:" فالكلمة في الجملة يغلب أن تتطلب كلمة أخرى تقع في حيزها بشروط خاصة تتصل بإحدى القرائن، كالإعراب أو الرتبة أو الربط إلخ، ولقد فسر النحاة هذا الشرط بالنسبة للإعراب مثلا بفكرة العمل النحوي، لا بطالب الحيز في نظام الجملة، فقالوا: الكلمات يعمل بعضها في بعض نصبا أو جرا إلخ، ولكنهم اضطروا أيضا إلى الاعتراف بالعمل المعنوي، حيث لا يوجد عامل لفظي، فكان ذلك تعبيرا غير مباشر عن الاعتراف بفكرة الحيز الذي يحدد وظيفة الكلمة"([٤٣]).

---

[٣٩] ــ انظر: السابق، نفس الصفحة.

[٤٠] ــ التجديد النحوي في جهود تمام حسان ومهدي مخزومي: المصطلح النحوي نموذجا، د. شيهان رضوان،٢٩٨ ، ٢٩٩ ، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد"٣٢"، ٢٠١٥م.

[٤١] ــ اللغة العربية: معناها ومبناها:١٨٩.

[٤٢] ــ انظر: الأصول:٢٠٠، ٢٠١.

[٤٣]ــ الخلاصة النحوية:٨٠.

وقد ذكر مصطلح" الحيز" – أيضا – عند حديثه عن قرينة الرتبة، حيث قال:" الرتبة بين عناصر الجملة تتصل أيضا بفكرة الحيز؛ إذ يقال بحسب الرتبة إن أحد العنصرين وقع في حيز العنصر الآخر، إما حقيقة أو حكما"(٤٤). ونجد هذا المصطلح أيضا في قوله: حروف ينصب المضارع في حيزها، وحروف يجزم المضارع في حيزها، وحروف يجر الاسم في حيزها(٤٥).

إذن، فالابتعاد عن مصطلح العامل النحوي والفرار منه، جعله يتخذ مصطلح" الحيز" بديلا عنه. كما ذكر مصطلحا آخر، وهو" التسلُّط"، وهو قريب من العامل النحوي، وذلك عند حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة، حيث قال:" إذا سبقه حرف نفي مسلَّط عليه، نحو: ما رجل أكرم من زيد. وإذا سبقه حرف استفهام مسلَّطٌ عليه، نحو: أرجل أنت(على أحد احتمالي الإعراب)"(٤٦).

ولكن أستاذنا – رحمه الله– عاد فأكد على ردِّه على فكرة العامل النحوي، ولكن هذا الهجوم لم يكن عنيفا، كما كان من قبل، عندما أطلق عليه خرافة في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها".

يقول في ذلك:" غير أن فكرة العمل النحوي على جدواها في تفسير ظاهرة الإعراب تتنافى مع التفكير المنهجي المستقيم؛ لأن الكلمات ليست ذات قدرة تأثيرية تمكنها من إحداث تغير في أوضاع كلمات أخرى. هذا من ناحية العامل اللفظي، أما العامل المعنوي فله شأن آخر؛ ذلك أن هناك قرائن معنوية في النحو نلمحها في عناوين الأبواب. هذه القرائن تمكننا من أن نقول عن زيد في "قام زيد": إنه مرفوع بالفاعلية، وليس بالفعل ذاته، أي أنه مرفوع؛ لأنه يؤدي دور الفاعل في الجملة، والفاعل يستحق الرفع. وأن نقول عن زيد في " قام زيد" إنه مرفوع بالابتداء، ولا يصح أن نقول إن المبتدأ والخبر ترافعا، أي رفع كل منهما الآخر، أو أن نقول إن المبتدأ رفع الخبر...فالخبر مرفوع على معنى الخبرية، أو الإخبار عن المبتدأ وكونه متما لإفادة الجملة"(٤٧).

وخلاصة القول في ذلك: إنَّ الدكتور تمام حسان –رحمه الله– قد بدأ هجوماً عنيفًا على العامل النحوي في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"، ولكنه خفَّف الحدة عندما ذكر بعض ما يرتبط به من قواعد التوجيه في كتابه" الأصول"، وإن كان هذا لا يعني الإقرار به في أي كتاب من كتبه أو بحث من بحوثه، حتى إنه لم يقم بالإشراف على رسالة مرتبطة بالعامل النحوي(٤٨)، كما أن هذه الحدة قد قلَّت منه في كتابه " الخلاصة النحوية".

٤٤ــ الخلاصة النحوية:٨١.

٤٥ ــ انظر: كلمة "حيز" في الخلاصة:١٦٧.

٤٦ ــ انظر: الخلاصة النحوية:١٠٦. وانظر: هذا المصطلح:١٦٥.

٤٧ ــ الخلاصة النحوية:١١٠.

٤٨ــ أذكر أنني قبل أن أسجل موضوعا للماجستير، في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام ١٩٩٩م، كنت قد تقدمت

رابعا- تطور موقفه اللغوي من تأثر النحو بالمنطق الأرسطي:

مما انتُقِدَ به النحوُ العربي من اللسانيين العرب علاقة النحو العربي بالمنطق، وذلك بسبب الترجمة وبخاصة ما كان عن اليونانية من مؤلفات المنطق والفلسفة، ولعلَّ العرب لم يترجموا عن أمة كما ترجموا عن اليونانية، إما مباشرة، وإما عن طريق السريانية([٤٩]).

وقد سوَّغ الدكتور تمام حسان-رحمه الله- هذه العلاقة بالقول: إنَّ من سنن المعرفة أن ينتفع اللاحق بما خلفه السابق من تجارب، وهو تماما ما فعله النحويون حين بحثوا " عن سلف ينتفعون بتجاربه وجدوا أمامهم تجارب السريان والإغريق التي ترجع في معظمها إلى إخضاع اللغة للدراسات الفلسفية والمنطقية، ولا تكتفي بأن تسلط المعايير على الاستعمال، بل تسلط المعايير على المنهج"([٥٠]).كما جعل المقولات الأرسطية مقابلة لجملة من الأصول التي قام عليها النحو العربي([٥١]). ورأى أن النحو العربي قد تأثر بالمنطق في جانبين: أولهما: جانب المقولات وتطبيقها في التفكير العام، وثانيها: الأقيسة والتعليلات في المسائل النحوية([٥٢]). وهذا معناه أنه ذهب إلى تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي، دون تفرقة بين مرحلة النشأة وغيرها.

وقد طوَّر هذه النظرة، وفصَّل رأيه في ذلك، وعدَّه رأيا موضوعيا في كتابه "الأصول"، فهو لم ينفِ التأثر بالمنطق الأرسطي كليَّة، وإنما خلص إلى مرحلتين مرَّ بهما النحو العربي، هما:

المرحلة الأولى: **مرحلة النشأة** التي تميزت بالاعتماد على النصوص أكثر من اعتمادها على الفلسفة والمنطق، كما أن النظر فيها كان نظرا عقليا، ليس مخصوصا بالآليات المنطقية الأرسطية، وإنما هو من نتاج تكوين العقل الإنساني الذي منحه الله للعرب واليونان وسائر الأمم والشعوب([٥٣]).كما أن هذه المرحلة خلت من التأثير اليوناني، والمفاهيم الأجنبية، وإن تأثر النحو في هذه المرحلة أو الفترة بمعنى أدق بعلوم إسلامية تمثلت في علم الكلام وأصول الفقه.

بموضوع عنوانه" قوة العامل النحوي وضعفه وتأثير ذلك على الجملة"، واختلف الأساتذة الفضلاء بين مقر و مانع، فما كان من أستاذنا الدكتور: محمد عبد المجيد الطويل- حفظه الله - وكان وقتها رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض، أن أمرني أن أعرض على أستاذنا الدكتور تمام حسان - رحمه الله - هذا الموضوع، فرفض هذا الموضوع، وذكر أنه منذ ما يقرب من نصف قرن لا يؤمن بنظرية العامل، أفيجوز له بعد ذلك أن يشرف على موضوع عن العامل النحوي أو مرتبط به، وقد قضى حياته - رحمه الله - في الدفاع عن نظرية القرائن؛ فما كان مني إلا تقدمت بموضوع آخر، فقُبِل، وسُجِّل باسمي، والحمد لله رب العالمين.

[٤٩] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة:١٦.

[٥٠] ــ اللغة بين المعيارية والوصفية:١١٨، وانظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي، د. فاطمة الهاشمي بكوش:٦٤، إيتراك للطباعة، منتدى سور الأزبكية، ط١، ٢٠٠٤ م.

[٥١] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة:١٩ ــ٢٣.

[٥٢] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة:١٧.

[٥٣] ــ انظر: الأصول:٤٩، ومقالات في اللغة والأدب: ج١١٩/٢. والفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية، للدكتور: مبروك بركات:١٩٧.

أما المرحلة الثانية، فقد جاءت في بدايات القرن الثالث الهجري، وقد بدأت برقي المأمون(ت٢١٨ ه) كرسي الخلافة أيام الدولة العباسية، الذي رعى حركة ترجمة التراث اليوناني إلى اللغة العربية، وكان له ميل إلى الاعتزال؛ ومن ثم زاد النظر العقلي المنطقي للنصوص، وبدأت الثقافة اليونانية تتسرب إلى العرب، وبدأت آثار المنطق اليوناني ومفاهيمه تظهر على الدرس النحوي العربي، وزاحمت هذه المقولات والأفكار الثقافة الإسلامية بما تحتويه من نظر نحوي، وظهر التأثر بالتراث اليوناني على أئمة النحو الذين عاصروا الخليفة المأمون، ومن هؤلاء الفراء وأبو علي الفارسي وابن جني وغيرهم ممن بدا في مؤلفاتهم الافتتان بالنظر العقلي والمنطقي، وزاد نشاط التأثير في القرن الرابع الهجري، وأصبح واضحا جليا لا يمكن إنكاره([٥٤]).

خامسا- تطور المصطلح النحوي عند الدكتور تمام حسان.

نشر الدكتور تمام حسان بحثا بعنوان" تشقيق المعنى" سنة ١٩٥٩م، سمَّى فيه المعنى الوظيفي(الوظيفة)، وسمَّى المعنى المعجمي(الإطلاق)، وسمَّى المعنى المقامي(المقصود)([٥٥]). ورأينا من قبل كيف تطور مصطلح" الأداة " عنده، كما أنه قد أورد مصطلحات عوضا عن العامل النحوي، كالتسلط، والحيز... ولا شك أن قضية" المصطلح عند الدكتور تمام" أوسع بكثير من هذا العنوان الذي اخترته.

يقول الدكتور عبد الرحمن العارف عن منهج الدكتور تمام حسان -رحمه الله- في صياغة المصطلح:" وكان منهجه في تقديم المصطلح يقوم على عدة وسائل، هي فيما اتضح لي: الترجمة والتعريب، وإيثار المصطلح العربي القديم، أو بمعنى آخر تأصيل المفاهيم اللسانية الحديثة عن طريق البحث عن مصطلحات عربية قديمة. وقد يلجأ أحيانا لإيراد المصطلح الأجنبي كما هو دون تدخل منه بترجمة أو تعريب. أما الوسائل الأخرى المتبعة عادة في وضع المصطلح، كالاشتقاق، والنحت، والمجاز، والتوليد، فلم يكن لها وجود ضمن الطرق التي اصطنعها لصوغ مصطلحاته "([٥٦]).

ويرى الدكتور العارف أن تعدد المصطلح للدلالة على شيء واحد ينظر إليه من ناحيتين:

أولهما: أن فيه إشكالية على مستوى المصطلح.

وثانيهما: وهذه هي الأهم، أنه يدل على أنه اختلاف تنوع وتعدد، لا اختلاف تناقض وتضاد، كما أنه يُعَدُّ من باب الترادف والتقارب؛ ومن ثم فإنه من هذه الناحية، يعد محمدة([٥٧]). والباحث يوافقه على ذلك، وإن كنا نعد هذا من تطور المصطلح عنده.

---

[٥٤] ــ انظر: الأصول: ٥٢، والفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية: ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٦.

[٥٥] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب ج١/٣٣١.

[٥٦] ــ في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، الدكتور عبد الرحمن العارف:٨٨، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الأردن، مج٦، ع١، ٢٠٠٩.

[٥٧] ــ انظر: في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، د. عبد الرحمن العارف:٩٣.

١ ــ من المصطلحات التي انتزعها من التراث العربي وطوَّرها، مصطلح" القيم الخلافية"، وذلك من خلال تصريحه بأن الكوفيين أدركوا قيمة المقابلة في إيضاح المعنى، فسموها" الخلاف"، كما أن الأصوليين اعتمدوا على ما سموه" مفهوم المخالفة([٥٨]).

كما بيَّن في موضع آخر أن عبد القاهر الجرجاني قد استخدم مصطلح الفروق في نظرية النظم استخداما ذكيا يشير إلى أمر القيم الخلافية، أو المقابلات بين المعنى والمعنى، أو بين المبنى والمبنى([٥٩]).

٢ ــ من المصطلحات التي تغيرت عنده في المسمى"context of situation"وقد ترجمه أوَّلا إلى (الماجريات) وذلك في كتابه" مناهج البحث في اللغة"([٦٠])، وكتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية"([٦١])، وفي مقال له بعنوان" تشقيق المعنى"([٦٢])، لكن في مرحلة علمية متأخرة صدرت له بعد أعماله المبكرة، عدل عن هذا إلى "المقام" أو القرائن الخارجية أو سياق الموقف، مصرحا أنه ارتضى له اصطلاح البلاغيين([٦٣]).

٣ ــ استخدام مصطلح" الاستدعاء الصوتي"، وهو ترجمة للمصطلح الإنجليزي"onomatopoea"، ويعني به وجود علاقة طبيعية بين الرمز ومعناه، نتيجة استدعاء أصوات بعض الكلمات، كالضجيج والزئير والخرير، للمعاني التي سيقت لها هذه الكلمات([٦٤])، إلا أنه عدل عن هذه الترجمة، واختار بدلا منها المحاكاة ودلالة الصوت على المعنى أو حكاية الصوت للمعنى([٦٥]).

٤ ــ ومن المصطلحات التي طوَّرها مصطلح"Etymology" الذي ترجمه مرة بتطور البيئة، وثانية بتطور صورة الكلمة([٦٦])، وثالثة بالتطور الصرفي لشكل الكلمة([٦٧])، ورابعة بتطور

---

[٥٨] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:١٨٧،٦٨،٣٤، وبحث في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، د. عبد الرحمن العارف:٩١.

[٥٩] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٢٤ وبحث في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، د. عبد الرحمن العارف:٤٠ تراجع

[٦٠] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة:٢٥١، ٢٦١.

[٦١] ــ انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية:٨٦ ، ١٢٢.

[٦٢] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب ج١/□□□. وقد نشر هذا البحث سنة ١٩٥٩ ثم نشره في هذه المقالات في مرحلة متأخرة.

[٦٣] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٣٣٧، ٣٥٣، ٣٦١ والخلاصة النحوية:٢٣،٨، ٢٤، وانظر: في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام
حسان، الدكتور عبد الرحمن العارف:٩٢، ٩٣.

[٦٤] ــ انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية:١٠٧.

[٦٥] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب: ج١/٣٥٤، ٤٧٤،٣٧٥، وج٢/٢٣٦ وبحث د. العارف:٩٧.

[٦٦] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب: ج٢/١٤٤.

[٦٧] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٣،٣٢٠.

استخدام الكلمة([٦٨])، وكان – كما ذكر د. العارف – قد سبق له أن أورد هذا المصطلح معربا في باكورة مؤلفاته([٦٩]).

وتعقيبا على ما سبق نستدعي قول ابن جني: "فإن تساوى القولان في القوة وجب أن يُعتقد فيهما أنهما رأيان له، فإنّ الدواعي إلى تساويهما فيهما عند الباحث عنهما هي الدواعي التي دعت القائل بهما إلى أن اعتقد كلاّ منهما، هذا بمقتضى العُرْف وعلى إحسان الظن، فأمّا القطع البات فعند الله عِلْمُه"([٧٠]).وإن كنا نرى أن العدول عن المصطلح إلى مصطلح آخر، إنما هو ما اعتقده أخيرا ومال إليه، خاصة إذا علمنا أن المصطلح الأخير فضله عن غيره، ولو أراد الثبات على المصطلح الأول، لفعل.

ما سبق هو النمط الأوَّل من مظاهر تطور التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان، ويُعْنَى – كما أوضحنا – بالتدرج اللغوي في المسألة الواحدة، مع التعمق والتوسع والتفصيل، من غير مخالفة للرأي السابق، أما النمط الثاني فيُعْنَى بمخالفة رأيه السابق والعدول عنه إلى رأي آخر، ويندرج تحت ذلك: العدول عن الكتابة باللغة اللاتينية، وتطور رأيه في النقل، ودخول التوارد في المعنى المعجمي، وإمكانية تطبيق المنهج التوليدي على النحو العربي. وسنفصل القول في ذلك من خلال هذه النقاط:

أولا– تطور رأي الدكتور تمام من الكتابة باللغة اللاتينية.

دعا الدكتور تمام حسان –رحمه الله – في أولى طبعات كتابه" اللغة بين المعيارية والوصفية" إلى استخدام الأحرف اللاتينية بدلا من العربية، وقد رفض في الطبعات الأخيرة من هذا الكتاب استعمال الحروف اللاتينية أساسا في وضع الرموز لأصوات العربية؛ فقد ذكر أن هناك قصورا في نظام الكتابة العربية يتمثل في إهمال إثبات علامات الحركات اكتفاء برموز الحروف الصحيحة مما يؤدي إلى الخطأ الصرفي والنحوي، وقد جرت محاولات من بعض الهيئات من إصلاح هذا الوضع، وقد قام في سبيل ذلك عقبات مالية وقومية واجتماعية وثقافية([٧١]).

وقد أشار إلى بعض المقترحات، ومنها ما اقترحه عبد العزيز فهمي، من استعمال الرموز اللاتينية في كتابة اللغة العربية، ثم انتهى أستاذنا –رحمه الله– إلى اقتراحٍ تقدَّم به، وهو أن يستكمل النقص في نظام الكتابة العربية بالاستعانة برموز إضافية تشتق من الكتابة الإغريقية و اللاتينية لسد الذرائع وتتكامل مع الرموز العربية([٧٢]).

---

[٦٨] ــ انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان:٩٠، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.

[٦٩] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة:٢٣٥، ٢٣٩، وبحث في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان:٩٧.

[٧٠] ــ الخصائص، لابن جني: ج١/٢٠٣، ٢٠٥ .

[٧١] ــــ نظر: اللغة بين المعيارية والوصفية:٩ .

[٧٢] . انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية:١٠.

ثم يقول:" ثم ظهر الكتاب (يعني: اللغة بين المعيارية والوصفية)، وطبع عدة طبعات، وفيه هذا الاقتراح، وكنت ذات يوم أعيد قراءة ما نشر في هذا الموضوع ... وآثرت الإبقاء على التراث في صورته التاريخية "[٧٣].

ثانيا- تطور موقفه من مفهوم "النقل".

احتلَّ مفهوم "النقل" وما يندرج تحته مساحة واسعة من كتب الدكتور تمام حسان – رحمه الله- حيث جاء حديثه ابتداء من الناحية النظرية في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"([٧٤])، ثم جاء نظريا وتطبيقيا في كتابه" البيان في روائع القرآن"([٧٥])، ثم تخلَّى عن بعض ما يندرج تحته في كتابه" خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم" ([٧٦]).

جاء في البيان:" لقد اعترف النحاة بالنقل تحت أسماء مختلفة، فعرفوه باسم "النقل" في بعض المواضع، وباسم "التحويل" في مواضع أخرى، وباسم" النيابة" في مواضع تخلف عما تقدم، وربما أدخلوا بعض ظواهره تحت أسماء غير ذلك، اعترف النحاة بظاهرة النقل بكلامهم عن العلم المنقول، واسم الفاعل، أو الحال اللذين أغنيا عن الخبر، وفي "يا" النداء التي سدت مسد " أدعو"، وفي الظروف المتصرفة التي قالوا إنها تخرج عن الظرفية إلى معان أخرى، وفي نيابة بعض الحروف عن بعض، ونيابة "كل" و" بعض" ونحوهما عن المفعول المطلق، وفي" ما" التعجبية التي قالوا إنها الاستفهامية، غير أنها أشربت معنى التعجب"([٧٧]).

في حين أنه ذكر في كتابه" خواطر من تأمل لغة القرآن" تحت عنوان" ظواهر هامشية في النظام النحوي" أن هذه الظواهر تنقسم على قسمين: لفظية ومعنوية، فأما اللفظية فتضم" المعاقبة- الموقعية- النقل- الترخص- المشترك اللفظي" ([٧٨]).

ثم بدأ يفصل القول في كل واحدة منها، فذكر تحت عنوان المعاقبة" أنها:" معاقبة الشيء لغيره، حلوله محله وأداؤه لوظيفته، وقد عني النحاة بتتبع هذه الظاهرة الواحدة، ولكنهم أطلقوا عليها طائفة من المصطلحات، كما يأتي:

النيابة: كنيابة المفعول عن الفاعل، ونيابة " كل" و" بعض" عن المصدر...ـــ الإغناء...الحلول محل لفظ آخر، كحلول "يا" محل" أدعو" في النداء. السداد مسد لفظ آخر. التأويل: كتأويل الجامد بالمشتق، كما في " زيد رجل". ـــ العوض. ـــ المنزلة ـــ التحويل: كما في التمييز المحول

---

[٧٣] . السابق:١٠.

[٧٤] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٩٧ ـــ٩٨، و١٦٣ ـــ ١٦٦.

[٧٥] ــ انظر: البيان في روائع القرآن الكريم: ٣٩ –٥٥.

[٧٦] ــ خواطر من تأمل لغة القرآن، د. تمام حسان:٥٥، ٥٦، عالم الكتب، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٦م، وانظر: ظاهرة النقل عند الدكتور تمام حسان: النظرية والتطبيق، سيف الدين شاكر نوري:٤ ، العدد الخامس والستون، مجلة ديالي، ٢٠١٥

[٧٧] ــ البيان:٣٩، ٤٠.

[٧٨] ــ خواطر من تأمل لغة القرآن، د. تمام حسان:٥٢.

عن الفاعل أو المفعول. ـــــ التشبيه ــ التضمين: وهو استعمال لفظ بإعطائه معنى لفظ آخر، استعمل النحاة كل هذه المصطلحات لظاهرة يحددها مصطلح واحد هو المعاقبة"([٧٩]).

ثم ذكر تحت عنوان" النقل" الفرق بين النقل والمعاقبة، أن النقل إجراء أسلوبي، ولكن المعاقبة ظاهرة نحوية"([٨٠]).

وقد أوضحت إحدى الدراسات الفروق بين تناول الدكتور تمام حسان لمفهوم النقل في الكتابين، فذكرت الآتي:

١ ــ قرَّر في "البيان" أن النحاة عرَّفوا النقل، فيما عرفوه باسم " النيابة"، وأن نيابة "كل" و" بعض" ونحوهما عن المفعول المطلق هي من أمثلة النقل، ثم عاد في حديث" الخواطر" فقرر أنها مثال من أمثلة المعاقبة، وليس من أمثلة النقل.

٢ ــ قرر في "البيان" أن "يا" النداء التي سدت مسد "أدعو" هي من أمثلة النقل، ثم عاد في حديث "الخواطر" فقرر أنها مثال من أمثلة المعاقبة.

٣ ــ قرر في "البيان" أن النحاة عرفوا النقل – من جملة ما عرفوه به– باسم " التحويل"، وأن تحويل التمييز من الفاعل أو المفعول من أمثلة النقل، لكنه عاد في " الخواطر" فنسب المصطلح والمضمون إلى المعاقبة.

٤ ــ ذكر في "الخواطر" أن تأويل الجامد بالمشتق – كما في " زيد رجل"– من أمثلة المعاقبة، وكان قد قرر في "البيان"([٨١])وفي أكثر من موضع أنه من قبيل النقل.

٥ ــ ذكر في نص من "الخواطر" أن التضمين من أمثلة المعاقبة، وقد صرح في "البيان" أنه من أمثلة النقل([٨٢]).

ولو نظرنا إلى النص الذي ذكره لوجدنا أن جُلَّ أمثلة النقل ومصطلحاته غدت من أمثلة المعاقبة ومصطلحاتها، مع تأكيد الفرق القائم بينهما([٨٣]).

ولا شك أن ما أورده أستاذنا أخيرا في كتابه" خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم" هو ما انتهى إليه من رأي، لأن هذا الكتاب طبع طبعة أولى ٢٠٠٦م، في حين أن كتاب" البيان في روائع القرآن" طبع طبعة أولى ١٩٩٣م. وهذا ما ذكره الباحث من قبل مستنبَطًا من كلام ابن جني، من أنه "عند التعارض مع عدم معرفة الرأي الراجح في المسألة، عندئذٍ يُبْحَثُ عن تاريخ هذين القولين، فالمتأخر منهما هو ما اعتزمه العالم، ويُعَدُّ هذا منه رجوعاً عن قوله الأول، وبهذا يعلم أنَّ معرفة التدرج التاريخي في تطور الرأي له دور في الترجيح في نسبة الرأي الأخير للعالم".

---

[٧٩] ــ خواطر من تأمل لغة القرآن: ٥٣.

[٨٠] ــ السابق:٥٥.

[٨١] ــ البيان في روائع القرآن الكريم:١/٥٣،١٣.

[٨٢] ــ انظر: البيان:١/٦٦ .

[٨٣] ــ انظر: ظاهرة النقل عند الدكتور تمام حسان: النظرية والتطبيق،سيف الدين شاكر نوري:١٦.

ثالثا- دخول التوارد في المعنى المعجمي.

عند تناول الدكتور تمام حسان لقرينة "التضام" أخرج التوارد من هذه القرينة في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"([٨٤]). وجعله مندرجًا تحت الجانب الأسلوبي، أي أنه قريب من دائرة دراسة الأساليب والتراكيب البلاغية الجمالية، أقرب من دراسته داخل العلاقات النحوية والقرائن اللفظية، إلا أنه عدل عن رأيه هذا لينشر بحثا مستقلا، جعل فيه التوارد جزءا من قرينة التضام، تحت عنوان" ضوابط التوارد"([٨٥]).

وقد بيَّن في هذا البحث أن ما طرحه بالنسبة للتوارد في كتاب "اللغة العربية: معناها ومبناها" لم يكن سعيدا به؛ لأنه منحه حكما مؤقتا، كما أن الجانب الأسلوبي قد جنى على الجانب النحوي، لارتباط التوارد- كما يرى - بالمعجم؛ ومن ثم رأي أن المعجم مستبعد من خطة التنظير النحوي، ولكن رأى بعد ذلك بعد الاطلاع على تطور النظرية النحوية التوليدية، وخاصة ما يتعلق بقيود الانتقاء"selection restrictions"، ومداومة التأمل في طبيعة المعجم، رأى دور المعجم في التنظير النحوي([٨٦]).

يقول في ذلك:" كان من الطبيعي لهذه النظرة أن تقود إلى عدم التنبه إلى ما قد يكون ثمة من رابطة بين النحو والمعجم، وأن تؤدي إلى استبعاد المعجم من خطة التنظير النحوي، ثم أن تجعل العبارة المشهورة "الإعراب فرع المعنى"، كأنها صادقة علي المعنى الوظيفي فقط، وهذا الذي وقع بحذافيره، غير أن ما جاء بعد ذلك من اطلاع علي تطور النظرية النحوية التحويلية، ومداومة للتأمل في طبيعة المعجم وما يشتمل عليه من حقول معان وأصناف كلمات- أديا في النهاية إلى تعديل مهم لفهم فكرة التوارد لدى المؤلف، ويرجع هذا التعديل إلى معرفة ما يقوم بين مفردات المعجم من علاقات تجعلها تقع في أصناف متمايزة، بحيث يلتقي صنف منها بصنف، فيصبح للكلمة من هذا والكلمة من ذلك أن تجتمعا في الجملة الواحدة؛ فيستقيم المعنى باجتماعهما، أو يتنافر صنف مع صنف؛ فلا يستقيم المعنى... فالمناسبة المعجمية منبع الإفادة، أي كون الكلام لفظا مفيدا، والمفارقة المعجمية منبع الإحالة، فيصبح الكلام معها غير مفيد على الحقيقة، إلا أن يمكن صرفه إلى المجاز... وربما كان قول النحاة: إن الإعراب فرع المعنى مستندا إلى اشتراط الإفادة في الكلام، وقد رأينا أن الإفادة تنبني على المناسبة المعجمية "([٨٧])؛

---

[٨٤] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٢١٦، ٢١٧.

[٨٥] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب ج١/١٣٥. وانظر رسالة بعنوان: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" دراسة وصفية تحليلية: ١٢٧، لبلقاسم منصوري، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م.

[٨٦] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب: ج١/١٣٦، ١٣٧.

[٨٧] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب ج١/١٣٧، وانظر:ضوابط التوارد،الدكتور تمام حسان: ٣٠٧، ٣٠٨، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٥٨، شعبان ١٤٠٦ هـ ــ مايو ١٩٨٦م، وبحث " التضام وقيود التوارد ": ١٠٠ ــ ١١٣، المناهل، العدد السادس، السنة الثالثة ، رجب ١٣٩٦ هـ ــ يوليو ١٩٧٦ م .

ولذا عدل من عبارته التي وردت في" اللغة العربية: معناها ومبناها"، وهي:" الإعراب فرع المعنى الوظيفي" إلى " الإعراب فرع المعنى المعجمي". وكذلك المعنى الوظيفي والدلالي.

وقد ذهبت بعض الدراسات([٨٨]) إلى اتهام الدكتور تمام حسان – رحمه الله – بأنه قد جانبه الصواب، عندما رأى أن الإعراب فرع المعنى الوظيفي، لا المعنى المعجمي، ولا المعنى الدلالي([٨٩])، وأنه لا يتفق معه في ذلك، وقد استند في هذا إلى ما أورده– رحمه الله– بأننا يمكن أن نعرب كلاما لا معنى له من الناحية المعجمية إذا اتضح معناه الوظيفي، لكونه على صورة الكلام العربي من حيث التركيب والحروف والنطق، وضرب على هذا مثالين هرائيين أعربهما، وأحدهما هذا البيت:

قاص التجين شحاله بتريسه الـــ فاخي فلم يستف بطاسية البرن

وإذا كانت غاية الدكتور: تمام حسان أن يستدل بهذا الكلام علي نجاح نظريته في القرائن والتعليق الذي هو أهم هذه القرائن، وكذلك إثبات قدرتها في التحليل النحوي– نقول إذا كان الأمر كذلك، فإن هذا لا يسوِّغ أن نهمل أثر المعنى المعجمي المهم في الإعراب"([٩٠]).

ومعلوم لنا أن للإعراب أهميته في اللغة العربية، وله ارتباط وثيق بالمعنى، وما أوردته هذه الدراسة صحيح في ظاهره؛ لأن هذا كان رأياً لأستاذنا الدكتور تمام حسان– رحمه الله– في بعض كتبه المشار إليها في الهامش، ولكنه عَدَل عنه، وصوَّبه في بعض أبحاثه، كما أشرنا.

وعلى هذا فما وُجِّه من اتهام لم يكن قائماً إلا على رأي أستاذنا في بعض كتبه دون الاطلاع الكافي على أبحاثه الأخرى التي عُدِّلت العبارةُ السابقة على أساس منها، ولا ضير في ذلك؛ فقد يكون للعالم الواحد رأيان في المسألة الواحدة، ويكون أحدهما سابقًا للآخر، فيأتي اللاحق منهما معدلاً أو موضحاً أو مفسراً، بل يمكن أن يكون مناقضا إذا وجد من الأدلة الكافية لنصرة رأيه الأخير منهما([٩١]).

مما سبق يتضح لنا أنه إذا كان للعالم رأيان في المسألة، ونصَّ على الرجوع عن القول الأول من رأييه، عُلِمَ بذلك أن رأيه الأوَّل مُطَّرَحٌ وغير مأخوذ به.

---

[٨٨] ــ انظر: الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، للدكتور عبد السلام السيد حامد :٦٦، دار غريب، ط١، ٢٠٠٢م.

[٨٩] ــ انظر: مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان: ٢٨٨، طبعة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م. واللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٢ــ ١٨٤ .

[٩٠] ــ الشكل و الدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى: ٦٦ .

[٩١] ــ انظر: الإفادة بين القرائن النحوية والقرائن الخارجية، د. علاء دسوقي أحمد:١٢٧ –١٢٩، رسالة دكتوراه، دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.

رابعا- تطور موقفه من النحو والنحاة.

وضع اللسانيون العرب مقولة المعيارية مقابلا منهجيا ونظريا لمقولة الوصفية. يقول الدكتور تمام حسان - رحمه الله -في ذلك:" إن أساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد على الوصف أوَّلا وأخيرا"(٩٢).غير أن هذا الموقف قد اعتدل عنده؛ حيث رأى أن الدراسات النحوية القديمة مرت بمرحلتين:

بدأ النحو في المرحلة الأولى وصفيا(٩٣)، يعتمد الملاحظة والاستقراء، ثم الخروج بنتائج طابعها وصفي، ولكن تطور التاريخ بالدراسات العربية حرمها من المادة الجديدة التي يمكن أن تجري عليها الملاحظة، فكان لا بد في تلك الحالة من أن يكون النشاط الدراسي للغة العربية نشاطا انطوائيا... فلجأ النحاة إلى تقديس القواعد، بعد أن كانت خاضعة للنص، وأصبحت عباراتهم تبدو فيها المعيارية الصارخة(٩٤)، وهذه هي المرحلة الثانية(٩٥).

ولكن- مع مرور السنين- لم يُخْفِ أستاذنا إعجابه بأصالة التفكير لدى النحاة القدماء، وأثنى على جهد النحاة، خاصة بناءهم النظري الذي جردوه، يقول في ذلك:" لم أُخْفِ إعجابي بأصالة التفكير لدى نحاتنا القدماء، ولم أحجم عن وصف بنائهم النظري الذي جردوه تجريدا من المسموع بأنه صرح شامخ، وجهد عقلي من الطراز الأول..."(٩٦).

ويرى أن النحاة قد أبلوا بلاء حسنا في بناء صرح العلوم العربية، وأن النتائج التي وصلوا إليها تعد رائعة من جهتين:

أولا: أن نقاد التراث العربي من المستشرقين يعترفون طائعين أو مرغمين بأن العرب لهم فلسفة حقيقية، وهذه الفلسفة هي دراستهم اللغوية وبخاصة النحو بما اشتمل عليه من نظام استدلالي لا يمكن أن تصل إليه إلا عقلية ذات مقدرة فائقة على التجريد.

ثانيا: صمود هذه البنية للتطبيق منذ القرن الثاني للهجرة، حتى هذه اللحظة(٩٧).

ويرى بعض الدارسين(٩٨) أن الدكتور تمام بعد إكباره لمنهج القدماء في كتابه الأصول في عام ١٩٨١م، يرى أن كل دراساته بعد هذا التاريخ أنجزها في إطار الفكر اللغوي العربي

---

٩٢ ــ اللغة بين المعيارية والوصفية: ١

٩٣ــ السابق :٣٥.

٩٤ ــ السابق: ٢١.

٩٥ ــ انظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي، د. فاطمة الهاشمي بكوش:٦٩، ٧٠.

٩٦ ــ الأصول:٩.

٩٧ ــ مقالات في اللغة والأدب: ج٢/٢٨٠.

٩٨ ــ انظر: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" دراسة وصفية تحليلية: ٦٠، لبلقاسم منصوري، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م. وانظر: نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، محمد الأوزاعي:٦٧ ــ٦٨، الرباط، دار الأمان،٢٠١٠م.

القديم، مستأنساً بمفاهيم لسانية حديثة، ولكن في حدود المحافظة على بنية الفكر اللغوي(القديم) الإطار، ويرى- كذلك – أن هذا الفكر اللغوي القديم قد ظل مسيطرا على فكره، وقد ظهر ذلك في مصطلحاته ومفاهيمه التي اقترحها في أسلوب جديد، حتى قال عنه:" ففكر تمام حسان يحمل بمفاهيم قديمة تطبق على مادة لغوية قديمة([٩٩]).

وهذا الرأي مجافٍ لما رأيناه من دراسات الدكتور تمام حسان بعد هذا التاريخ الذي حدده، فمن ينظر إلى مؤلفاته، يجد تفرده بآراء خالف فيها القدماء، من النحاة والمفسرين، حتى الإطار الذي ألف به كتاباته خاصة " البيان في روائع القرآن" و" الخلاصة النحوية" لم يخرج فيه عن النظرية التي اختطها في كتابه "اللغة العربية: معناها ومبناها"، التي صدرت أولى طباعاته ١٩٧٣م، وبحثه" القرائن النحوية واطراح العامل..."١٩٧٤م.

رابعا- تطور موقفه من النحو والنحاة.

وضع اللسانيون العرب مقولة المعيارية مقابلا منهجيا ونظريا لمقولة الوصفية. يقول الدكتور تمام حسان - رحمه الله -في ذلك:" إن أساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد على الوصف أوَّلا وأخيرا"([١٠٠]).غير أن هذا الموقف قد اعتدل عنده؛ حيث رأى أن الدراسات النحوية القديمة مرت بمرحلتين:

بدأ النحو في المرحلة الأولى وصفيا([١٠١])، يعتمد الملاحظة والاستقراء، ثم الخروج بنتائج طابعها وصفي، ولكن تطور التاريخ بالدراسات العربية حرمها من المادة الجديدة التي يمكن أن تجري عليها الملاحظة، فكان لا بد في تلك الحالة من أن يكون النشاط الدراسي للغة العربية نشاطا انطوائيا... فلجأ النحاة إلى تقديس القواعد، بعد أن كانت خاضعة للنص، وأصبحت عباراتهم تبدو فيها المعيارية الصارخة([١٠٢])، وهذه هي المرحلة الثانية([١٠٣]).

ولكن- مع مرور السنين- لم يُخْفِ أستاذنا إعجابه بأصالة التفكير لدى النحاة القدماء، وأثنى على جهد النحاة، خاصة بناءهم النظري الذي جردوه، يقول في ذلك:" لم أُخْفِ إعجابي بأصالة التفكير لدى نحاتنا القدماء، ولم أحجم عن وصف بنائهم النظري الذي جردوه تجريدا من المسموع بأنه صرح شامخ، وجهد عقلي من الطراز الأول..."([١٠٤]).

---

[٩٩] ــ انظر: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" دراسة وصفية تحليلية، : ٦٠ ، لبلقاسم منصوري ، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م. وتراجع: نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، محمد الأوزاعي:٦٧ ــ٦٨ ، الرباط، دار الأمان،٢٠١٠م.

[١٠٠] ــ اللغة بين المعيارية والوصفية: ١

[١٠١] ــ السابق :٣٥.

[١٠٢] ــ السابق: ٢١.

[١٠٣] ــ انظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي، د. فاطمة الهاشمي بكوش:٦٩، ٧٠.

[١٠٤] ــ الأصول:٩.

ويرى أن النحاة قد أبلوا بلاء حسنا في بناء صرح العلوم العربية، وأن النتائج التي وصلوا إليها تعد رائعة من جهتين:

أولا: أن نقاد التراث العربي من المستشرقين يعترفون طائعين أو مرغمين بأن العرب لهم فلسفة حقيقية، وهذه الفلسفة هي دراستهم اللغوية وبخاصة النحو بما اشتمل عليه من نظام استدلالي لا يمكن أن تصل إليه إلا عقلية ذات مقدرة فائقة على التجريد.

ثانيا: صمود هذه البنية للتطبيق منذ القرن الثاني للهجرة، حتى هذه اللحظة([١٠٥]).

ويرى بعض الدارسين([١٠٦]) أن الدكتور تمام بعد إكباره لمنهج القدماء في كتابه الأصول في عام ١٩٨١م، يرى أن كل دراساته بعد هذا التاريخ أنجزها في إطار الفكر اللغوي العربي القديم، مستأنساً بمفاهيم لسانية حديثة، ولكن في حدود المحافظة على بنية الفكر اللغوي(القديم) الإطار، ويرى- كذلك – أن هذا الفكر اللغوي القديم قد ظل مسيطرا على فكره، وقد ظهر ذلك في مصطلحاته ومفاهيمه التي اقترحها في أسلوب جديد، حتى قال عنه:" ففكر تمام حسان يحمل بمفاهيم قديمة تطبق على مادة لغوية قديمة([١٠٧]).

وهذا الرأي مجافٍ لما رأيناه من دراسات الدكتور تمام حسان بعد هذا التاريخ الذي حدده، فمن ينظر إلى مؤلفاته، يجد تفرده بآراء خالف فيها القدماء، من النحاة والمفسرين، حتى الإطار الذي ألف به كتاباته خاصة " البيان في روائع القرآن" و" الخلاصة النحوية" لم يخرج فيه عن النظرية التي اختطها في كتابه "اللغة العربية: معناها ومبناها"، التي صدرت أولى طباعاته ١٩٧٣م، وبحثه" القرائن النحوية واطراح العامل..."١٩٧٤م.

خامسا- تطور موقفه من المنهج اللغوي المتَّبع في معالجة آرائه اللغوية.

تعمق الدكتور تمام حسان –رحمه الله- في دراسة التراث اللغوي العربي، وأضاف إلى ذلك التشبع باللسانيات الغربية، إلا أنه بدأ في كتاباته معجبا ومكبرا للفكر الغربي، من حيث المنهج؛ حيث اختار المنهج الوصفي طريقا، وألف كتابه" اللغة بين المعيارية والوصفية"... ولا ننسى دراسته على يد اللغوي فيرث.

ويمكن لنا أن نقول مطمئنين: إنَّ الدكتور تمام حسان –رحمه الله – قد أكبر في بدايات حياته العلمية المنهجَ الوصفيَّ أيَّ إكبار، وأجرى كتبه الأولى على هذا المنهج، ومن ذلك كتابه" مناهج البحث في اللغة "، وكتابه" اللغة بين المعيارية والوصفية" واضعاً " الوصفية" في العنوان، وأحال

---

[١٠٥] ــ مقالات في اللغة والأدب: ج٢/٢٨٠.

[١٠٦] ــ انظر: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" دراسة وصفية تحليلية: ٦٠، لبلقاسم منصوري، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م. وانظر: نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، محمد الأوزاعي:٦٧ــ٦٨، الرباط، دار الأمان،٢٠١٠م.

[١٠٧] ــ انظر: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" دراسة وصفية تحليلية، : ٦٠ ، لبلقاسم منصوري، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م. وتراجع: نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، محمد الأوزاعي:٦٧ــ٦٨ ، الرباط، دار الأمان،٢٠١٠م.

كثيرا إلى هذا المنهج. كما أنه أقام كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها" على هذا المنهج، وكان من نتائج الالتزام به، أنه اتهم النحو بالمعيارية لا الوصفية، ورفض التقدير عند النحاة، وجعله مما ابُتلي به النحو العربي.

إلا أنه عندما سلك في مرحلة متأخرة سبيل المنهج التوليدي التحويلي، واختطَّ في هذا السياق عدة أبحاث، نجده قد اعترف بالتقدير والحذف، وفكرة الأصل والفرع، وغيرها مما له ارتباط بهذا المنهج.

وقد وجهت بعض الدراسات اتهاما قالت فيه:" إن لتمام حسان تراوحا في الآراء بين فترة وأخرى، تبعا لتراوح المناهج اللغوية، وما يستتبعها من آراء متباينة ومختلفة؛ حيث إنه لــمَّا كان شأن المنهج الوصفي مرتقيا في أوساط الباحثين العرب رفض التعليل، لرفض هذا المنهج له، ولكن لــمَّا بسط المنهج التحويلي ظلاله على غيره من المناهج عدّل من رأيه السالف، وأصبح يعتبر التعليل مظهرا من مظاهر القدرة التفسيرية في النحو، وهو دليل إيجابي فيه من منظور المنهج التحويلي"([١٠٨]).

وهذا الرأي فيه جانب صواب وآخر خطأ، أما الصواب فيتمثل في تغير موقفه من التعليل تبعا للمنهج اللغوي المتبع سواء أكان وصفيا أم تحويليا، وهذا يعد تطورا محمودا لا مذموما.

أما جانب الخطأ فيتمثل عنده في صياغة عبارته" لما كان المنهج الوصفي مرتقيا في أوساط الباحثين العرب رفض التعليل، لرفض هذا المنهج له، ولكن لــمَّا بسط المنهج التحويلي.."؛ إذ كيف تستقيم هذه العبارة مع الفكر اللغوي لأستاذنا تمام حسان – رحمه الله – الذي يعد من أوائل من بينوا للدارسين المنهج الوصفي بحق، وطبقه بصدق. فهو ليس تابعا لغيره، وما كان مرتقبا لمنهج يبسط سلطانه ليتبعه، وإنما غيَّر رأيه، وفقا للدراسات التي خطَّها، ووفقا لما اعتقده من رأي لغوي، كما أنه لم يتشبث بالخطأ، في أي مرحلة من مراحل حياته العلمية، بل كان يبحث عن الحق، ويتبعه، ويدافع عنه، ويسير على منهاجه. وهذا سمت العلماء، لا الأدعياء.

هذا، وقد عرض الدكتور تمام حسان– رحمه الله – في أبحاث متنوعة للعلاقة بين النحو ومناهج البحث اللغوي الحديث، تحدث في بعضها عن الاتجاه البنيوي، وتحدث بتوسع في بعضها عن تشومسكي وأصحاب النحو التحويلي([١٠٩])، وقد تحدث في بحث له وسَّع فيه الحديث عن المنهج التحويلي عند تشومسكي، وقد لخص منهج في هذا البحث" النحو العربي ومناهج التحليل" سنة ١٩٧٨ م، وضمنه في كتابه" مقالات في اللغة والأدب" الجزء الأول:٢٠٧ ــ٢٣٢.

وقد ذكر رأيه في هذه النقاط:

---

[١٠٨] ــ الفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية، للدكتور: مبروك بركات:١٨٣ ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٢م

[١٠٩] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب: ج١/٦٤ ــ٦٦، ٦٧ ــ٧٨. وبحثه بعنوان" تعليم النحو بين النظرية والتطبيق"

أ ــ أن المنهج التحويلي لم يستقر له الأمر حتى الآن والبنية العميقة فيها نوع من الحدس النفسي بلا قاعدة، وأنه مغامرة في دور التجربة.

ب ــ أن هذا المنهج إذا كتب له أن يظل معمولا به على صورته الحاضرة، فسيكون خاصا باللغة الإنجليزية أولا وأخيرا.

ج ــ إذا أريد تطبيق هذا المنهج على لغة أخرى قامت صعوبات دون ذلك، إما أن تؤدي إلى استحالت التطبيق أو إلى إجراء تعديل في المنهج.

د ــ أن الفكرة عند إمكان تطبيقها تعد خدمة لحقل الأساليب أكثر مما هي خدمة لحقل النحو.

هـ ــ يبدو في هذا الوقت سنة ١٩٧٨م أن تطبيق هذا المنهج متعذر في اللغة العربية... ولكن الحكم النهائي على عدم صلاحيته ينبغي أن يُسْبَقَ بمحاولة تكييفه بالكيفية العربية، وهو أمر يتطلب من الجهود مقدار ما بذله تشومسكي نفسه في إنشاء هذا المنهج.

و ــ أن الإصرار على تطبيق هذا المنهج على اللغة العربية بعد اتضاح هذه الحقائق ليس إلا عرضا من أعراض الاستلاب الفكري، ومظهرا من مظاهر عقدة التخلق([١١٠]).

ولكن أستاذنا – رحمه الله – رجع في بحث بعنوانه" وحدة البنية وتعدد النماذج" نشره سنة ١٩٨٣ م، وقد أبرز من خلاله تحليلا للمنهج التحويلي، بالإضافة إلى النموذج البصري، ونموذجه هو كما عرض له في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"، وذكر في نهاية هذا البحث رأيه في المنهج التحويلي قائلا:" وهكذا يبدو أن المنهج التحويلي قد يمكن مع شيء من التعديل أن يطبق على اللغة العربية، فيتأتى للغة العربية أن يعاد وصفها لسانيا من خلاله"([١١١]).

هكذا رأينا تطورا في رأي أستاذنا من ناحية صلاحية المنهج التحويلي وتطبيقه على اللغة بين الرفض في بداية الأمر، وصلاحية التطبيق على اللغة العربية في المرحلة الأخيرة ([١١٢]).

ثلثا: أسباب تطور التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان.

ثمّت أسباب تجعل العالم يسعى لتطوير تفكيره اللغوي، قد يكون بعضها مرتبطًا بفكره نفسه، أو منهجه، أو مرتبطا بالفكرة نفسها، فما يطرحه في مرحلة من مراحل حياته قد يختلف عنه في مرحلة أخرى.

---

[١١٠] ــ انظر: النحو مناهج التحليل والذي نزل في كتابه مقالات في اللغة والادب: ١/٢٣٢،٢٣١.

[١١١] ــ انظر: وحدة البنية وتعدد النماذج في كتابه مقالات في اللغة والأدب: ج١/٢٨٥.

[١١٢] ــ يرى د. تمام ـــ رحمه الله ـــ أن وجوه اتفاق وتلاق بين عبد القاهر ورأيه في النظم وما يترتب عليه من بناء وترتيب وتعليق ورأي تشومسكي في البنية

العميقة وما يتولد عليها من بنيات سطحية، ولذا فقد رأى أن تشومسكي ربما يكون قد تأثر بالنحو العربي، خاصة إذا علمنا أن أباه من رجال الدين

اليهود الذين عرفوا العربية معرفة جيدة، ومعلوم أن نحو اللغة العبرية قد تمت صياغته لأول مرة في الأندلس الإسلامية على غرار نحو العربية.

(انظر: بحثه " بين عبد القاهر ونعام تشومسكي: النظم والبنية العميقة" وذلك من خلال كتابه مقالات في اللغة والأدب: ٢/٣٤٣.، وانظر: كذلك :

تعليم النحو بين النظرية والتطبيق من خلال كتابه مقالات في اللغة والأدب: ج١/٦٧ ــ٧٨).

ويمكن لنا أن نجمل أسباب تطور الفكر اللغوي عند الدكتور تمام حسان في سببين رئيسين:

١- تطور الرأي اللغوي المقصود بالدراسة في فكر صاحبه.

التطور اللغوي لبعض آراء العالم لا يكون إلا بعد طول تفكير وإمعان في النظر، فما كتبه في بداية حياته، قد لا يرتضيه في آخرها، أو في مرحلة معينة من مراحل عمره، ومن ذلك مثلا نظرته" للتقدير النحوي"؛ حيث رأى في كتابه" اللغة العربية بين المعيارية والوصفية" أن التقدير بليِّة أُصيبَ بها النحوُ العربي، وذلك عندما انتهج منهج الوصفيين، في حين أنه عندما يمَّمَ وجهه شطر التوليديين التحويلين، وتناول عمل النحويين العرب بالدراسة والتحليل أثنى على التقدير أيَّ ثناء.

كما أننا لو نظرنا إلى موقفه من العلل، لوجدنا أنه رفض كثيرا من العلل في كتابه" الأصول"([١١٣])، ثم جاء في مقال له مشيدا بالتعليل في تفسير المناهج النحوية، حيث قال ـــــ رحمه الله ـــــ عنه إن:" من مظاهر الطاقة التفسيرية في النحو العربي ظاهرة التعليل لأحكام النحو وأقيسته"([١١٤]).

٢-الاعتراف بالخطأ، مع الرجوع إلى الصواب، وظهور أدلة جديدة معتمدة عنده، لم تكن في بداية حياته.

أخرج الدكتور تمام- رحمه الله- التوارد من قرينة التضام في كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها"([١١٥])، وجعله مندرجاً تحت الجانب الأسلوبي-كما ذكرنا من قبل - إلا أنه عدل عن رأيه هذا لينشر بحثا مستقلا، جعل فيه التوارد جزءا من قرينة التضام، تحت عنوان" ضوابط التوراد"([١١٦])، وبين من خلاله أهمية المعنى المعجمي ودوره في الإعراب.

رابعا: ملاحظات عامة حول التفكير اللغوي عند الدكتور تمام حسان وأنماطه من خلال كتبه وأبحاثه.

الحديث عن فكر أي عالم- خاصة إذا كان في قيمة وقامة أستاذنا- رحمة الله - ليس أمرا سهلا، حتى وإن وضعناه في نقاط متدرجة، وأتينا بأمثلة متنوعة على ما نقول؛ ذلك أن الفكر اللغوي عند العالم متشابك ومتداخل؛ فقد يورد المسألة مرة واحدة في موضع من كتابه، ثم لا يعود إليها، وقد يورد بعضا منها في كتاب، لعله أن يعود إليها ويوفيها حقها في بحث آخر، أشد تشبُّثا بها وتثبيتاً لها، وقد يعارض ما طرحه أوَّلا، ولا يرضى عنه، فيعدِّله في بحث آخر، أو قد تكون أبعاد الموضوع غير مكتملة في ذهنه، فيعود إليها، موضحا ومبينا لها وكاشفا عنها.

وهذا الكلام مهم مع ملاحظة ما يمتاز به أسلوب الدكتور تمام حسان- رحمه الله- من القوة والمتانة، وأنه أسلوب علمي رصين؛ فمن ينظر في كل كتبه أو جُلِّها وأبحاثه يدرك أنها

---

[١١٣] ــ انظر: الأصول: وحديثه عن العلة والتعليل:١٦١ ـــــ١٧٨.

[١١٤] ــ اللغة العربية والحداثة د. تمام حسان: ١٣٧، فصول، ج ٤،ع٣، القاهرة:١٩٨٤م.

[١١٥] ــ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٦، ٢١٧.

[١١٦] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب ج١/١٣٥. وانظر رسالة بعنوان: الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" دراسة وصفية تحليلية: ١٢٧، لبلقاسم منصوري، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م.

على وتيرة واحدة، من ناحية الدقة والإتقان، والقوة والإحكام، لكن ربما نجد في كتابه" البيان في روائع القرآن" النزوع إلى البساطة في التعبير، وانتقاء ما يتيسر فهمه على الطلاب من ظواهر اللغة ولمحات الأدب؛ ومردُّ ذلك- كما أخبر هو عن نفسه – أنه وضعه لغير الناطقين بالعربية([١١٧]).

ويمكن أن نضع النقاط المهمة التي يمكن أن نلمسها في فكر الدكتور تمام وتفكيره اللغوي، وهي من غير ترتيب:

١ ــ التوطئة بتأليف بعض الأبحاث التي تكون إرهاصا لبعض كتبه بعد ذلك.

فقد سبق كتابه "اللغة العربية: معناها ومبناها"، ١٩٧٣م، عدة أبحاث منها: من مسائل النحو، وتشقيق المعنى ١٩٥٩، و الخليقة والسليقة ١٩٥٩، وموقف الأديب من اللغة ١٩٥٩، وصوتية الأدب ١٩٥٩، والمذهب الرمزي في الأدب١٩٥٤م، وهذه الأبحاث كانت دافعة له لكتابة بحثين مثَّلا إرهاصا بعد ذلك لكتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها" وهما: أمن اللبس ووسائل الوصول إليه، ١٩٦٨م،ومنهج النحاة العرب، ١٩٦٩م

كما أنه في كتابيه "مناهج البحث في اللغة" ١٩٥٥م، و"اللغة بين المعيارية والوصفية"١٩٥٨م، قد تناول في الأول منهما أفكار المنهج الوصفي في تحليل مستويات اللغة الخمسة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم، والدلالة، وحاول تطبيقها على اللغة العربية الفصحى، ثم جاء الثاني مكمِّلًا للأول ومرسِّخا للمنهج الوصفي الذي كان قد دعا إليه، وناقدا للمنهج المعياري الذي اتسمت به من وجهة نظره الدراسات اللغوية القديمة عند العرب([١١٨]).

وكان هذان الكتابان – خاصة كتابه مناهج البحث في اللغة – الركيزة الأساسية لأن يكتب كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها" مُودِعًا فيه أهم أفكاره وخلاصتها عن المنهج الوصفي، ومطبقا له على اللغة العربية([١١٩]).

يقول الدكتور عبد الرحمن العارف عن هذا الكتاب:" وخلاصة القول إن هذا الكتاب هو مشروع قراءة أخرى للتراث اللغوي العربي من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، أو بعبارة ثانية هو إعادة صياغة النحو العربي وترتيب الأفكار اللغوية بوجه عام في ضوء أحد مناهج البحث اللغوي الحديث، وهو المنهج الوصفي...فضلا عن كونه محاولة جريئة وحدثا علميا

---

[١١٧] ــ انظر: البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: د. تمام حسان:٤، عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٤١٣ هـ ــ١٩٩٣م.ولقد سألته

ـــــ رحمه الله ـــــ ذات مرة عن سبب دقته العلمية وقوة أسلوبه؟ فقال لي: إنني إذا شغلتني فكرة، فلا أدعها تفلت مني، حتى أوفيها حقها، وربما أيقظتني من

نومي، ويكون بجواري قلم وورقة، فأخطها محكما لها، مستبشرا بها.

[١١٨] ــ انظر: تمام حسان رائدا لغويا، إعداد وإشراف الدكتور عبد الرحمن العارف:١٧، عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٤٢٣ هـــــ ــ ٢٠٠٢م.

[١١٩] ــ انظر: مقدمة كتابه" اللغة العربية: معناها ومبناها:٧ ــــــ١٠.

متميزا في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، حسبه أنه لفت الأنظار إلى أن هناك متسعا من القول في النحو العربي، وأن باب الاجتهاد فيه مازال مفتوحا لمن تتوافر فيه شروطه"([١٢٠]).

٢ محاولة استقصاء كل ما يحيط بالموضوع الذي يريد الكتابة عنه.

ومن ذلك تناوله لنظرية القرائن، والإحاطة بكل أبعادها، مع التعديل عليها، ومحاولة الرد على من ينتقضها، وتأليفه لكتابه "البيان في روائع القرآن" و"الخلاصة النحوية" لتوطيد أركانها والدفاع عنها نظريا وتطبيقيا. وحاول أن يوطد لها كذلك بالبحث في كل قرينة مستقلة، ومن ذلك: ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي([١٢١])، ومصطلح الرصف في الخطاب النحوي([١٢٢])، وضوابط التوارد([١٢٣])،والتضام وقيود التوارد([١٢٤])، ووحدة البنية واختلاف المقاربات([١٢٥])، والإفادة والعلاقات البيانية([١٢٦])، كما ساعد على توطيدها أكثر بالإشراف العلمي على رسائل مستوحاة أغلبها من كتابه " اللغة العربية: معناها ومبناها"([١٢٧]).كما نلاحظ سيطرة فكره اللغوي على الرسائل التي أشرف على أصحابها.

فأغلب الرسائل العلمية التي أشرف عليها تحمل جزءا من فكره، سواء في خطة الموضوع أو الطرح العلمي أو مناقشة الآراء.

كما أنه قد يطور الفكرة المطروقة بالدراسة، نحو دراسته: الخليقة والسليقة في عام ١٩٥٩ونشرها في الجزء الأول من مقالات ج١/٣١١-٣٢٩، وقد طوَّرها في الجزء الثاني إلى السليقة بين النحو العربي والنحو التوليدي ج٢/٢١٠ – ٢١٧. كما أنه قد يميل إلى تكرار بعض أبحاثه، ومن ذلك بحث" المعجم: أنظام هو أم رصيد من المفردات، عرض له في كتابه" مقالات في ج٢/٨٧-١٠٠، وعرض له بالعنوان نفسه في كتابه" اجتهادات لغوية"٣٣٨-٣٤٧، كما عرض له في كتابه "حصاد السنين":٢٠ – ٣٢.

٣ ــ النظرة الشاملة والتكاملية للغة العربية، مع معالجة الموضوع العلمي كأنه نسيج واحد.

وقد ظهرت هذه النظرة الشاملة عند تناوله لأفكار المنهج الوصفي في تحليل مستويات اللغة الخمسة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم، والدلالة، وذلك في كتابه" مناهج البحث في اللغة" ١٩٥٥م([١٢٨]). كما ظهرت هذه النظرة – كذلك – في تناوله للنظام الصوتي، والصرفي

---

[١٢٠] ــ السابق:١٩، ٢٠، ٢١.

[١٢١] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب، ج١/١٦٩ ــ٢٠٤.

[١٢٢] ــ انظر:اجتهادات لغوية /٤٥ ــ٦٠ .

[١٢٣] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب، ج١/١٣٥ -١٦٩

[١٢٤] ــ انظر: اجتهادات لغوية :٦١ – ٦٧.

[١٢٥] ــ انظر: السابق: ٧٧ – ١١٠.وقد ورد تحت عنوان" وحدة البنية واختلاف النماذج" في كتابه مقالات في اللغة والأدب: ج١/٢٣٥ – ٣٨٥.

[١٢٦] ــ انظر: مقالات في اللغة والأدب: ج٢/١٨٢-١٩٤.

[١٢٧] ــ تمام حسان رائدا لغويا:٢٨،٢٩

[١٢٨] ــ انظر: السابق:١٧ .

والنحوي والدلالي في كتابه " اللغة العربية: معناها ومبناها". وأيضا في كتابه" الأصول: دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي" ، الذي كان دراسة معرفية لجذور الفكر اللغوي في ثلاثة حقول من أهم حقول الدراسات اللغوية، وهي: النحو – فقه اللغة – البلاغة([١٢٩]).

ومن خلال نظرة فاحصة في كتابه" البيان في روائع القرآن الكريم" يتأكد لدينا كأنه قد تناول القرآن الكريم آية آية، وقد وضعه بمنهجية علمية تحت قسمين: الأول: دراسات لغوية من خلال القرائن اللفظية. والثاني دراسات أسلوبية. وقسَّم كلا منها إلى فصول، ودرس فيه أنواع القرائن في الأول، ودرس في الثاني: القيم الصوتية وأثرها، والإيقاع، والحكاية، والفواصل، والمناسبة الصوتية، والأسلوب العدولي، والترخص، وإباء اللبس، والهيكل البنيوي لبعض سور القرآن...

لقد حشد أستاذنا – كما ذكر ذلك الدكتور أحمد علم الدين الجندي، وكما هو واضح في هذا الكتاب – نفسه ونفيسه لهذا العمل حين قال:" وإنما كان هدفي أن أغشى ساحة القرآن متأملا بعين اللغوي، وقلب الأديب– وأضاف الدكتور علم الدين الجندي، وهو صادق فيما أضاف – وروح العاشق"([١٣٠]).

٤ ــ محاولة ترجمة ما هو مفيد وجديد ومؤثر.

ومن ذلك ترجمته لكل من: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ١٩٥٧م، وأثر العلم في المجتمع،١٩٥٨م، واللغة في المجتمع،١٩٥٩م، الفكر العربي ومكانه في التاريخ،١٩٦١م، والنص والخطاب والإجراء،١٩٩٨م، ولا شك أن هذه الأعمال المترجمة قد سدَّت فراغا في المكتبة العربية، وكشفت في بعض مناحيها عن رأي الآخرين، ونظرتهم في تأثير الثقافات الوافدة على الفكر العربي في جوانبه العلمية واللغوية والدينية، كما كشفت من جهة ثانية عن علاقة اللغة بالمجتمع، وعن إنتاجية النص اللغوي، وكيفية تحليله، وتعدد ووجهات النظر إليه، وهذا – كما يرى الدكتور عبد الرحمن العارف – إضافة مهمة للدرس اللغوي، وللثقافة العربية بشكل عام([١٣١]).

٥ ــ عدم الإكثار من المصادر والمراجع، والإحالة في الغالب إلى كتبه،مع الاعتماد على الجداول بدقة وتنظيم.

يلاحظ من يقرأ كتب الدكتور تمام أن المصادر والمراجع التي يعتمد عليها في كتبه قليلة، وقد أكثر منها بين عربي وأجنبي في كتابه" الأصول"، وتكاد تنعدم في جل أبحاثه. كما يظهر في كتبه الاعتماد على الجداول بدقة وتنظيمخاصة في كتابه" الخلاصة النحوية" و" اللغة العربية " و" الأصول".

---

[١٢٩] ــ انظر: السابق:٢١.

[١٣٠] ــ انظر: السابق:٤٧ ، وانظر مقدمة كتاب البيان في روائع القرآن:٣ .

[١٣١] ــ انظر: تمام حسان رائدا لغويا:٢٣.

يقول أستاذنا الدكتور أحمد علم الدين الجندي – رحمه الله – :" امتاز في كتاب (الأصول) بتنسيق الجداول وهندستها بربط المواد الأصولية فيها برباط يُسْلم إلى أحكام مسلمة يستند إليها في الدفع، و ذلك في إطار يتسم بالغوص والعمق، وفهم لأسرار العربية..."([١٣٢]).

٦ ـــــ الاعتزاز بفكره اللغوي ورأيه العلمي من غير تكبر ولا غرور.

فمن خلال مقدمات كتبه نلحظ التواضع وعدم الغرور، فهو يفصح في مقدمة كتابه الأصول" أن بعض عناصر القدماء لديه قبل كتابة هذا الكتاب لم تكتمل، مما جعله يتريث، حتى تكتمل هذه الأفكار عنده وتتضح، مع الاعتذار عن الهفوات والأخطاء التي قد توجد في الكتاب، وترحيبه بمن يصحح له فكرة في هذا الكتاب أو يسد خللا، أو يشير إلى تجاوز معين، لأنه يرى:" الحقيقة تبقى دائما أعلى قدما وأغلى قيمة عند طلابها من كل غرور فردي"([١٣٣]).

ولا غرو في ذلك، فهو يقول عن نفسه، وكنت شاهدا على ذلك، عندما مدحه أستاذنا الدكتور أحمد الليثي – رحمه الله – يقول عن نفسه" إنما أنا طالب علم عجوز"؛ لذا أقول: من أراد أن يتسوَّر المحراب كتابة عن تمام حسان وفكره، فليتذرع بالعلم والصبر والأناة، فما راءٍ كمن سمعا، رحم الله أستاذنا، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

نتائج هذا البحث.

أولا– تطور التفكير اللغوي معناه: نموٌّ الفكر اللغوي للعالم الواقع في مجال النزعات والاتجاهات الكلية، وتطور آرائه الواقع في المسائل والمفردات، اعتمادا على الذكاء والفطنة، وإعمال الذهن، وحشد الأدلة.

ثانيا– قد يكون للعالم المجتهد نظرٌ في وقت لا يرتضيه في وقت آخر، وبهذا يكون له في المسألة الواحدة قولان، وقد استطاع ابن جني أن يحدد لنا نقاطا مهمة عند تناول تطور الفكر والآراء عند العالم،

ثالثا–أشار ابن جني إلى نمطين في تطور آراء العالم، وقد وُجِدَ هذان النمطان عند أستاذنا تمام حسان– رحمه الله–وهما: التدرج اللغوي في المسألة الواحدة؛ حيث يبرز التعمق والتوسع والتفصيل، من غير أن يخالف رأيه، ومن ذلك القرائن النحوية، ومحاولة ترتيبها، وإعادة تصنيفها وفق أنظمة اللغة، وكذلك رأيه في العامل النحوي، وأيضا رأيه في الأداة، وما يندرج تحتها، وأقسام الكلام، وجعلها سبعة بدلا من أربعة، مع محاولة التعمق في الأقسام، مع التفصيل والتوسع، وبعض مظاهر المصطلح عنده.

---

[١٣٢] ــ انظر: تمام حسان رائدا لغويا:٣٩، وذلك من خلال بحث للدكتور أحمد علم الدين الجندي ضمنه هذا الكتاب، بعنوان" من قضايا الفكر الأصولي وأثره في التيسير النحو العربي".

[١٣٣]ــ الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب:١٤.

أما النمط الثاني فيعنى بمخالفة رأيه السابق والعدول عنه إلى رأي آخر، ويندرج تحت ذلك العدول عن الكتابة باللغة اللاتينية، وتطور رأيه في النقل، ودخول التوارد في المعنى المعجمي، وإمكانية تطبيق المنهج التوليدي على النحو العربي.

رابعا-استطاع البحث أن يكشف عن أسباب مباشرة لتطور الآراء عند الدكتور تمام حسان، وقد استخرجها الباحث من خلال كلامه نفسه، ومن خلال عرضه لفكره وآرائه مدة حياته.

خامسا- من أوسع الموضوعات التي أكَّد عليها وطورها، القرائن النحوية وما يندرج تحتها، ومعالجة أقسام الكلام، وما يندرج تحتها، وبيان دور المعجم في النظام النحوي، ومفهوم النقل عنده، وما يندرج تحته، وما يخرج عنه.

سادسا- من خلال معرفة تطور التفكير اللغوي عند أستاذنا الدكتور تمام حسان، تبين أنه كان على علاقة وطيدة بكل ما يستجد على ساحة البحث العلمي من تطور للمدارس اللغوية الحديث، وإن كان أعلاها شأنا عنده، خاصة في بداية حياته العلمية بعد الدكتوراه، هو المنهج الوصفي، الذي دافع عنه وثبت أركانه، ونسج على منهجه ومنواله، وألَّف عليه. أما المنهج التوليدي فقد تخوَّف منه أوَّلا، ورأى استحالة تطبيقه على العربية، ولكن بعد إحاطته الشاملة به، رأى صلاحيته في التطبيق على العربية، ولكن أن يُبذلَ في فهمه وتطبيقه جهدٌ يكافئ ما بذل فيه لتثبيت أركانه.

سابعا-لا بُدَّ من تتبع آراء العالم في كل كتبه وأبحاثه؛ حتى لا نحكم بالخطأ على ما قال، أو نصدر أحكاما خاطئة أو ناقصة استناداً إلى بعض ما خطَّ، دون اطلاعٍ كافٍ على كلِّ ما كتب.

ثامنا- يمكن لنا أن نلمس في الفكر اللغوي العام للدكتور تمام بعض النقاط المهمة، وهي:

أ ـــــ التوطئة بتأليف بعض الأبحاث التي تكون إرهاصا لبعض كتبه بعد ذلك.

ب ـــ محاولة استقصاء كل ما يحيط بالموضوع الذي يريد الكتابة عنه.

ج ـــــ النظرة الشاملة والتكاملية للغة العربية، مع معالجة الموضوع العلمي كأنه نسيج واحد.

د ـــــ محاولة ترجمة ما هو مفيد وجديد ومؤثر.

هـ ـــــ ـــــ الاعتماد على الجداول بدقة وتنظيم.

و ـــــعدم الإكثار من المصادر والمراجع، والإحالة في الغالب إلى كتبه.

ز ـــــ الاعتزاز بفكره اللغوي ورأيه العلمي من غير تكبر ولا غرور.

أهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١ ـــــ أحمد خضير عباس علي، أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٤٣١ هـــ ـــ٢٠١٠م.

٢ ـــ بلقاسم منصوري، الآراء النحوية في كتاب اللغة العربية: معناها ومبناها، دراسة وصفية تحليلية، الجزائر، جامعة مولوي معمري، ٢٠١٣م.

٣ – تمام حسان.

– الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ٢٠٠٩م.

– البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٤١٣ هـ ـ١٩٩٣م.

–التضام وقيود التوارد، المناهل، العدد السادس، السنة الثالثة، رجب ١٣٩٦ هـ ـ يوليو ١٩٧٦م.

– الخلاصة النحوية، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ٢٠٠٠م.

– خواطر من تأمل لغة القرآن، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

– ضوابط التوارد، الدكتور: تمام حسان، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٥٨، شعبان ١٤٠٦ هـ ـ مايو ١٩٨٦م.

– اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.

ـــ اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

– مقالات في اللغة والأدب، الجزء الأول، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، والجزء الثاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ ـــ٢٠٠٦ م.

– مناهج البحث في اللغة، طبعة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.

٤ – جبر حيدر محمد، في التفكير المورفولوجي عند تمام حسان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، المجلد"١٠٢"، ٢٠١٢م.

٥– حسن موسى الشاعر، تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري، دار البشير، ط الأولى، ١٤١٥ هـ ـ

٦– خالد الأزهري، التصريح بمضمون التوضيح، دار الفكر، دون تاريخ.

٧ – سيف الدين شاكر نوري، ظاهرة النقل عند الدكتور تمام حسان: النظرية والتطبيق، العدد الخامس والستون، مجلة ديالي، ٢٠١٥.

٨- شيهان رضوان، التجديد النحوي في جهود تمام حسان ومهدي مخزومي: المصطلح النحوي نموذجا، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد"٣٢"، ٢٠١٥م.

٩ – عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٠ – عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، بغداد، ١٩٦٦م.

١١- عبد الرحمن العارف.

- تمام حسان رائدا لغويا، عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٤٢٣ هـــــ ــ ٢٠٠٢م.
- في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الأردن، مج٦، ع١، ٢٠٠٩.

١٢- عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

١٣- علاء دسوقي أحمد، الإفادة بين القرائن النحوية والقرائن الخارجية، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤- فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ماجستير، كلية الآداب، بغداد، ١٩٩٩م.

١٥- محمد عبد الله الدبيس، الفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية، ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

١٦- مبروك بركات، الفكر النحوي عند تمام حسان: دراسة وصفية تحليلية، ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٢م.

١٧- محمد الأوزاعي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، الرباط، دار الأمان،٢٠١٠م.

١٨- محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.